

روايات مصرية للحبیب



41

ما وراء الطبيعة أسطورة فرانكنشتاين

www.liilas.com/vb3

RAYAHEEN^



مقدمة

أنا الدكتور (رفعت إسماعيل) أستاذ أمراض الدم السابق الذي صار شيخاً ثرثراً ، لا يكف عن سرد ذكريات ماضيه .. حمداً لله على أنني لم أبدأ بعد في الكلام عن البيضة التي تمنها مليم ، والدجاجة التي تمنها خمسة مليمات ، بدلاً من هذا أتكلم عن الأسباح والمذءوبين ، والتواييت التي تنفتح عند دقائق الساعات في منتصف الليل ..

أنا الدكتور (رفعت إسماعيل) أستاذ أمراض الدم السابق الذي عاش أو عرف العديد من القصص الغريبة ، والذي شاء الله (تعالى) أن يجد له من يهوى سماع هذه القصص ، لذا صارت سلواد الوحيدة - وهو بلا وئد ولا زوجة وحالياً بلا صديق - أن يرقب الوجوه الثابتة المحيطة به ، وقد اتسعت عيونها شوقاً إلى القصة التالية .. تنتهي القصة فتضرب الآراء ..

١ - عن الأسطورة وصناعة الأسطورة ..



البرق يتمتع في السماء ،
بليبه الرعد .. القلعة
المهدمة ترتج فوق جبلها
المخيف .. القرية ثائرة
والرجال الفلاحون
السويسريون - ويعلم الله
أنهم شرسون حقًا -

يلوحون بالمشاعل ، وفي غيوتهم يتوهج ما هو أكثر
شراسة من النار :

- « يجب أن نصدق إلى القلعة ونمنع ذلك المجنون
من الاستمرار في تجاربه .. »

يانه من وقت غير مناسب للثورة ! إن الطبيعة ثائرة
بما يكفي ، وسيول الأمطار تجعل الرزية أو التعقل
أمرين مستحيلين ..

البعض يصرخ : سخبييفة ! هرااااا ! والبعض يراها
جيدة .. البعض يراى مغامراً لا يُشق له غبار ،
والبعض يراى أكبر كذاب عرفه القرن العشرون ،
حتى إنى جدير بالانضمام إلى البارون (منخاوزن)
أكبر كذاب فى تاريخ أوروبا ..

أراء لا تنتهى .. لكنكم - ويا لفرحتى - تضعون فى
النهاية القبضات تحت الذقون ، وتسمع عيونكم أكثر ،
وتقولون :

- « هلم احك قصة أخرى ، ولكن لتكن مرعبة هذه
المرّة .. هل تسمعنا أيها العجوز ؟ مرعبة ! »
فأقول وأنا أحك صلعتى مفكرًا :

- « ليكن .. اليوم أحكى لكم قصة (فرانتكشتاين) ..
كلا .. ليس (فرانتكشتاين) هو الوحش المرعب الذى
تعرفونه .. بل هو مخترعه ! الوحش لا اسم له ، وهذا
خطأ شائع إلى حد أنه صار غير قابل للتصحيح ..
اليوم أحكى لكم القصة ، ودعونا نرجى الأسئلة إلى
ما بعد أن أنتهى .. »

كانت القصة كما يلى

وتزداد الصواعق سخاءً .. وتهوى الأسمنة الملتهية
 فوق جهاز منع الصواعق الذى ابتكره (فكتور
 فرانكشتاين) ، فتسرى الكهرباء فى دوائر غاية فى
 التعقيد إلى الجهاز العملاق والجسد الميت المسجى
 تحت ملاءته المتسخة .. كهرباء قادرة على تحريك
 الجبال .. تتوهج الغرفة كلها بالنور الساطع ، وتشم
 رائحة اللحم المحترق ، وتسمع الأنين .. الأنين العميق
 من تحت الملاءة !

★ ★ ★

هذه هى العوالم التى لم تكن موجودة قبل أن
 تبتدعها فتاة فى التاسعة عشرة من عمرها .. فتاة
 تدعى (ماري ولستونكرافت شيللى) .. قصصية إنجليزية
 من المرحلة الرومانسية ، ولدت عام ١٧٩٧ وتوفيت
 عام ١٨٥١ .. ابنة الفيلسوف (ويليام جودوين) ،
 وأمها من زعيمات الحركة النسائية الشهيرات .. توفيت
 الأم سريعاً بعد إجاب ابنها ، ولم يستطع الأب أن يغفر
 هذا لـ (ماري) كأنها السبب فيما حدث ، وهى نقطة
 نفسية مهمة يجب ألا ننساها ..

وقد نشأت (ماري) فى (لندن) فى بيئة أدبية
 مغرقة ، حتى إنها رأت (كولردج) الأديب البريطانى
 العظيم فى دارها ، وعمرها مازال عامين .. ثم تزوجت
 من الشاعر (بيرسى شيللى) ، وهو من هو بالنسبة
 للأديب الرومانسى الإنجليزى مع زملائه (بيرون)
 و (كيتس) .. وعام ١٨١٨ قدمت أول وأهم أعمالها
 (فرانكشتاين) ، وقد قدمت بعد هذا أربعة كتب تعكس
 ليبرالية اجتماعية واضحة ، لكنها - شأن الأبيات
 عامة - لم تشتهر إلا برواية واحدة هى التى نتكلم
 عنها اليوم ..

وتوفيت (ماري شيللى) عام ١٨٥١ بورم فى
 المع ، ومن السخرية أن وفاتها تزامنت مع المعرض
 العلمى الإنجليزى ، الذى قدم اكتشافات مثيرة تذكرنا
 بما قدمته هى فى رواية (فرانكشتاين) ..

★ ★ ★

كان (فكتور فرانكشتاين) عبقرياً منذ نعومة
 أظفاره .. دالماً كان يملك الكلمة النهائية فى أى جدل

علمى بينه وبين (إليزابيث) أخته - بالتبنى فحسب -
وصديق عمره (هنرى) .. لقد نشأ الجميع فى بيت
أل (فرانكشتاين) قرب (جنيف) ، وسرعان
ما رزق أبواه بطفل جميل سموه (ويليام) ..

كان ذكاء (فكتور) مربكاً مخيفاً من البداية ، ولم
يكف عن التساؤل والتجريب قط ، غير أن هناك حادثة
خاصة تتعلق بالبرق ، فتحت عينيه على الإمكانيات
الهائلة لتلك الكهرباء الطبيعية رخيصة الثمن ، وهو
درس ظل يذكره حتى كبر ..

وفيما بعد تحكى القصة كيف أن الأصدقاء تفرقت
بهم السبل .. ذهب (فرانكشتاين) إلى ألمانيا
ليدرس العلوم فى (إنجولشتاد) ، وكما هو الحال مع
القصاص دائماً يتوصل إلى سر الأسرار بينما هو
ما زال طالباً .. كأن الأمور بهذه البساطة ..

ويتجه (هنرى) - وهو بالمناسبة راوى القصة -
من (جنيف) إلى ألمانيا لزيارة صديق طفولته ،
فيجده قد صار غريب الأطوار يدلى سراً مروعاً

لا يرحب بالكلام عنه .. إن للفتى معيلاً ، وهذا المعمل
يتركز حول ما يشبه حوض الاستحمام الذى نكتشف
- بعد تدقيق النظر - أنه يحوى أجزاء من اللحم
البشرى ، وما هو أقرب إلى جثة شبه متحللة تصبغ
فى مادة حافظة ..

وتبدأ التجربة الرهيبة التى يحاول فيها (فرانكشتاين)
أن يبعث الحياة فى جسد هذا الكيان الذى قام بتلقيحه
من بقايا جثث سرقتها من المشراح ، والذى حرص
على جعله جميلاً كرسوم الفنانين العظام .. ويرى
(فرانكشتاين) أن الأمر سهل شبيه بما تقوم به حين
تتعطل الساعة وكل أجزاءها سليمة ، من ثم نهزها
مرتين فتعود إلى الدوران ، والتد العملاقة التى مستهز
هذه الجثة هنا هى الصاعقة الكهربائية ..

كانت تجربة (بنيامين فرانكلين)^(*) الأمريكى مع

(*) بالمناسبة ، يعتقد عدد كبير من النقاد أن (مارى) صنعت
اسم (فرانكشتاين) من اسم (فرانكلين) الذى كهنتمها تجاربه
على الكهرباء والصواعق هذه القصة ..

(فرانكنشتاين) وضيغه يستيقظان قبل الفجر بقتيل على
المسح ، وهو يزيح الستائر ليدخل غرفة نومهما !
لقد نجحت التجربة !

يا للشباعة !! لقد تحول مثال الجمال الذي صنعه
(فرانكنشتاين) إلى عجيبة قبيحة مريعة أصابه الهلع
لرؤيتها .. وهنا يتصرف تصرفاً غير عادي : يطرد
المخلوق في اشمزاز من قبحة معتبرا التجربة فاشلة ،
غير مبال بحيرة الأخير وعدم فهمه لما يحدث .. هذا
يذكرنا بالكلب الذي يلعب الشطرنج ، ويرغم هذا
لا يبدى صاحبه حماساً لأنه هزم الكلب في أربعة
أدوار من سبعة !

هنا تبدأ أحداث القصة الحقيقية .. إن المخلوق
الذي لا اسم له على عكس ما هو شائع ، والذي طرد
من دار صانعه ، يجوب الطرقات ليلاً ويقادر المدينة
ليعمل لدى أسرة حطابين كريمة لا تعرف شيئاً
عن سره .. فقط تحسبه عابر سبيل يشع
الخلقة ..

البرق قد أحدثت دوياً كبيراً ، وبدا للناس وقتها أن كل
المشاكل يمكن حلها بمجرد تطيير طائرة ورقية وسط
عاصفة رعدية .. راجع قصة (عرين الدودة البيضاء)
لـ (برام ستوكر) على سبيل المثال ..

افترضت (ماري شيللى) الشيء ذاته ، وهكذا قام
(فرانكنشتاين) بتمرير تيار كهربى مرووح فى جسد
الكائن .. لقد استطاعت السينما الأمريكية أن تخلد هذا
المشهد فى ذهن كل من رأى فيلم (فرانكنشتاين)
عام ١٩٣١ ، والأجزاء التى تلتها ، وصارت هذه هى
مفردات الكلام عن (فرانكنشتاين) التى لا يمكن أن
تحدث عنه من دونها ، خاصة مع المكياج الخالد الذى
يذكره الجميع للكائن ، والأداء الخارق لـ (بوريس
كارلوف) من تحت تلك القناع الجامد ، والمؤثرات
الخاصة الفريدة لـ (ستريكادين) ..

وهنا يحدث المشهد الذى تكرر كثيراً فى كل أفلام
الرعب : الكائن لا ينهض .. من ثم يذهب الصديقان
للنوم شاعرين بخيبة أمل ، لكن يعد أن ينام

لكن الكائن مصمم على الانتقام من صانعه الذي
 تخلى عنه دون جريرة منه ، وهو يعرف كيف يجد
 (فراكنشتاين) وكيف يعذبه بقتل كل من يحب .. يقتل
 أخاه (ويليام) ويقتل عروس (فراكنشتاين) (إليزابيث) ،
 ثم يرغمه على صنع امرأة من طراره الذي يثير الهلع
 في القلوب كي يتزوجها .. لكن (فراكنشتاين) لم
 يستطيع ببساطة أن يصلح أخطائه بخطأ جديد من
 الطراز ذاته ..

لقد كان انتقام المسخ متوحشاً لا يبقى ولا يذر ،
 وفي النهاية يتصاعد الصراع إلى نروة مهيبه فوق
 ثلوج الشمال ، حيث يحترق العالم والمسوخ معا ..
 المخترع والاختراع .. الصانع والمصنوع ..

ولقد قدمت السينما العالمية - كما قلنا - القصة
 مراراً ، وأمكن للنقاد أن يقسموا هذه الأفلام إلى
 قسمين متباينين : مسخ (فراكنشتاين) الخاص بشركة
 (يونيفرسال) الحزين الذي جرحت عاطفة البنوة
 لديه فانتقم ، ومسوخ (فراكنشتاين) لشركة (هامر)
 الذي هو كتلة من الرعب والدمار تمشي على قدمين ..



يا للبشاعة !! لقد تحول مثال الجمال الذي صنعه (فراكنشتاين)
 إلى عجينة قبيحة مريمة أصابه الهلع لرؤيتها ..

لكن كل هذه الأقلام كانت دائماً تركز إلى منعطف طفولى بعض الشيء .. إن (فرانكنشتاين) كان بحاجة إلى مخ آدمى ، وهكذا سرق مخاً من مشرحة المستشفى غير عالم أنه مخ مجنون .. هكذا تصير الأمور واضحة ، ويكون لدينا مبرر صبياني سخيف لجنون الوحش ، وكان (فرانكنشتاين) لو أحسن الانتقاء نسارت الأمور كما يجب .. وهذا ببساطة يفقد القصة كل جمالها الرومانسى القاسى : الوحش صار قاسياً لأن أباه - (فرانكنشتاين) - قد تخلى عنه فى اشمزلة ..

الحقيقة أن أسطورة (فرانكنشتاين) هى خيال جامع أكثر من اللازم ، سين الألب وقح ، يفترض أن الإنسان - بشيء من الجهد العلمى - يمكن أن يخلق الحياة .. هذا كاف لرفض الأسطورة طبعاً ، لكنك لا تستطيع قراءة (فرانكنشتاين) دون أن تنظر إلى الظروف التى أوجدتها .. ظروف الثورة العلمية الشاملة التى افتتن بها الأبناء قبل العلماء ، وصاحبت

وثبات غير عادية فى مجال العلوم البيولوجية بالذات : اكتشاف الجراثيم .. اكتشاف الخلية .. الموجات الكهرومغناطيسية .. الراديو وأشعة X .. كان الإنسان منتشياً وحسب أنه عرف الإجابة عن كل الأسئلة ..

* * *

أما عن كتابة القصة : فلك قصة أخرى :

فى صيف ١٨١٦ كانت (ماري شيللى) فى (جنيف) - (سويسرا) ، وكان معها زوجها (شيللى) ولورد (بيرون) الشاعر الإنجليزي الشهير غريب الأطوار .. وكانت الفيلا التى أقاموا فيها هى ذات الفيلا التى عاش فيها (ملتون) مؤلف (الفردوس المفقود) .. على مرمى حجر من محل إقامة (جان جاك روسو) نفسه ، وكانت (ماري) تعتبر هذا المكان مقدساً .. كانت شديدة التأثر بـ (الفردوس المفقود) و(تحولات) (أوفيد) التى قرأتها منذ عام .. ولها قصة (برومثيروس) فى الأساطير الإغريقية الذى سرق النار وأهداها لبني الإنسان ..

في عام ١٨١٦ قرأت كتاب (روسو) (إميل)
ولم تنس عبارة :

« لقد خلق الله الأشياء خيرة ، لكن الإنسان
عبث بها وأفسدها .. »

لا يد أن هذا هو الجو العقلي الذي كانت فيه قيل أن
تفكر في روايتها هذه ، أما عن الجو النفسي فلموف
نعره بالتفصيل بعد قليل ..

بدأت العطة بداية طيبة ثم سرعان ما انقلب الجو
عاصفاً كأنه النذير ، وبدأت أمطار غير متوقعة ،
ويقال إن هذا كان بسبب ثورة بركان (تامبورا) في
(إندونيسيا) .. وفي ليلة رهيبة أمضى (شيللي)
وزوجته الأمسية مع لورد (بيرون) وطبيبه الخاص
(بوليدوري في فيلا (ديوداتي) ، وراحوا يتسلون حتى
تنتهي العاصفة بمجموعة من قصص الرعب الألمانية
التي تدعى (فانتاز ماجورياتا) ، وعلى طريقة حلقات
الرعب الخاصة بنا تحدى (بيرون) الموجودين لكتابة
قصة رعب فورية من وحى الجو .. وكان أهم ما كتب

في تلك الأمسية هي قصة (مصاصة الدماء)
لـ (بوليدوري) ، وهي قصة صارت شهيرة جداً فيما
بعد .. أما (ماري) فلم تجد ما تكتبه ، وأعلنت أنها
لا تجد إلهاماً ..

وبعد يومين من المحاولة سمعت الرجال يتحدثون
عن محاولة العلماء لتعمير التيار الكهربائي في جثة
أدمية ، لذا دخلت الفراش في تلك الليلة وقد بدأ
الكابوس يحتشد في ذهنها ..

« رأيت طالب الطب الشاحب يركع جوار الشيء
الذي قام بتجميعه .. رأيت شبح رجل معدد تبدو عليه
أمارات الحياة .. هذا يفزع الطالب الذي كان يتمنى
لولم ينهض الشيء .. يفتح عينيه ليرى الشيء يقف
جوار فراشه ويذبح الستائر المحيطة به .. »

وفي الصباح التالي بدأت (ماري) كتابة قصتها
لتنشرها في عام ١٨١٨ ..

يرى كثيرون أن رواية (فرانكنشتاين) ناقش - بعد
تجربتها مما فيها من رعب - مولد طفل من دون

امرأة .. يجب أن نذكر هنا أن (فرانكنشتاين) ظل
 يجرى تجاربه تسعة أشهر .. فعمله هو الرحم
 الذكرى الذى حاول أن يوجد طفلاً فيه .. وتظل هذه
 إحدى الطرق المعروفة لقراءة الرواية ، وهذا يعكس
 مخاوف (مارى شيللى) من الأمومة والحمل وقلقها
 بصدد قدرتها على الإجاب ثاتية ، لقد فقدت طفلتها
 الأولى فى أثناء نومها .. كانت قد صحت فى منتصف
 الليل لترضعها ، وحسبتها نائمة بسبب هدولها المريب
 لكنها وجدتھا ميتة ..

والقصة تناقش أعتى مخاوف الأبوة والأمومة : هل
 يقتلنى طفلى فى أثناء ولادته ؟ وماذا لو وُلد طفلى
 مشوهاً ؟ هل سأظل أحبه ؟

ربما كان الطفل فى الرواية - الممسخ - يرمز للعمل
 الأذى .. إن من قرأ سوناتات (شكسبير) يعرف
 كيف يقارن العمل الكتابى بالطفل فى محاولة الإنسان
 اليانسة للبحث عن الخلود .. كلاهما نوع من تخليد
 الذكر ..

كانت (مارى شيللى) عبقرية ، وقد تركت لنا
 تراثاً هائلاً من الرعب الذى لم يسبقها أحد إليه ..
 لكن الأسطورة التى قدمتها ذات حساسية خاصة
 تجعلها ذات مذاق مريب فى الفم ..

كانت (مارى شيللى) عبقرية ، مثل بطلها
 (فرانكنشتاين) ، وكان الممسخ تعمن الحظ ، فما
 دورى أنا فى كل هذا ؟

www.liilas.com/vb3
 RAYAHEEN^

٢- أوراق منسية ..

هل حقًا لم أحك لكم قصتي مع الدكتور (بيتر فرانكشتاين) ؟

غريب هذا ! إن شرود الذهن قد يؤدي لأغرب النتائج ، لكني لم أحسب أن الأمور قد تصل لهذا السوء ..

هل تتشككون في وقائع تلك القصة ؟ هل تسخرون مني ؟ لا تتكروا هذا ولا تهمونني بالبارتويا .. أنا أعرف كما تعرفون أسلوب الشباب في السخرية ، والنظرات التحقيرية والتعليقات الخفيضة التي لا يمكن تبين مصدرها .. أسلوب المشاغبيين في المدارس ، حين ينهمك مدرس الجغرافيا في رسم خارطة (الصين) على لوح الكتابة ويعطيكم ظهره .. حسن ! لو كنتم تتشككون فيها هي ذى الأوراق كلها أمامكم .. الوقائع كاملة ، وجوارها بعض ملحوظات كتبتها بخط اليد ..

أنا لم أكذب عليكم قط .. ولماذا أكذب ؟ لقد زادت شيخوخة وحكمة ومللا ، وزهدت اللذات البسيطة التي نعرفها جميعًا .. لم أعد راغبًا في أن أخترع الأحداث لأثير شغف أحد .. ونو آثارت الأحداث التالية اهتمامكم فاعلموا أنها أحداث حقيقية تمامًا لا فضل لى فيها .. ها هي ذى الأوراق .. ها هو ذا الجمل والجمال كما يقولون ..

هذه الخارطة ؟ إنها خارطة (سويسرا) يا شباب .. لا توجد دول كثيرة تحدها ألمانيا وفرنسا شمالاً ، وإيطاليا جنوباً ، وفرنسا غرباً ، والنمسا شرقاً .. لو لم تكن هذه خارطة (سويسرا) لكان علم الجغرافيا في وضع مقلق بعض الشيء ..

تعرفون أنني زرت (سويسرا) من قبل في مغامرة كانت من قبيل الهلاوس ، وقد جلبت علينا عاصفة من الحلق لم تنته بعد .. هذه القصة هي (أسطورة الغرباء) .. اليوم أعود إلى هناك ، ولكن كونوا مطمئنين .. ليس من الضروري أن تكون كل القصص التي تقع في

(سويسرا) سخيفة أو مخيبة للآمال .. من يدري ؟
لربما حدثت هذه القصة المثيرة أو تلك .. سأقدم لكم
اليوم قصة مسلية إلى حد ما برغم أن أحداثها دارت
في (سويسرا) ..

بدأت القصة في صيف عام ١٩٧٢ ، وكنت مدعوًا
إلى أحد مؤتمرات منظمة الصحة العالمية .. كانت لي
ورقة بحثية متوسطة القيمة تمت الموافقة عليها
برغم أنني لم أتوقع ذلك .. أحيانًا قد يعجب هؤلاء
القوم بمواضيع تافهة أو سخيفة .. وهكذا حُزمت
حقاتبي وخيامي وانطلقت إلى هناك .. وكالعادة كان
لغالي مع الأستاذ العظيم (فردريك شوندر) الذي
لا أعرف سواه في (سويسرا) كلها ..

هل تذكرون الرجل ؟ لن أضيع الوقت في وصفه ..
إنه يبدو كأستاذ سويسري في مشتقات الدم .. له كل
مزاياهم وعيوبهم .. هل رأيتم واحدًا من قبل ؟ هذا
سيجعل المهمة أسهل بالنسبة لي ..

التقينا في (جنيف) .. وكانت لنا في كواليس
المؤتمر مناقشات عن كل شيء ، فالرجل واسع العلم

له إلمام كبير بالثقافة الإنسانية ، كما أنه يعرف الكثير
عن الإسلام ، وهناك بالمناسبة عدد لا بأس به من
المسلمين في (سويسرا) ؛ وإن كانت الديانة الأكثر
التشاعرًا هي ديانة الرومان الكاثوليك .. لا ليست
البروتستانتية كما يحسب البعض ..

قال لي (شوندر) في معرض حديثنا عن مغامراتي
السابقة :

« أنا قد كفتت من الزمن عن الاعتقاد بوجود قوى
لا تراها .. لقد علمنا الأقدمون أن الحقيقة العلمية
يجب أن تكون قابلة للقياس والتفسير والتكرار .. »
ابتسمت في أدب ، وقلت :

« .. وهو تلميذ رقيق إلى أنني - عدم المواخذه -
نصاب في كل ما حكيت ! »

قال بتهذيب مماثل :

« .. أو مخدوع .. ربما أنت ضحية لمن هو أذكى
وأحوط .. كثيرون حضروا جلسات تحضير أرواح
وخرجوا منها ليقسموا أن الأمر كان حقيقيًا ، وبعد
هذا يدركون أنهم كانوا مخدوعين .. »

- « وهو تلميح رقيق إلى أنني أحقق في كل ما حكيت ! »

- « لا بد من أن يتهم المرء بشيء في حياته مادام متفاعلاً مع العالم الخارجى .. والأحرق أدنى إلى الشرف من التصاب على كل حال ! »

هنا جاءت سكرتيرته الحسنة (مارتا) التى لم أفس لها محاولة خداعى كى انضم إلى الغرباء ، حتى لو كان هذا فى كابوس .. هل تذكرون (مارتا) ذات الجمال الأرى لكنه ليس آرياً إلى حد السعاجة ؟

قالت (مارتا) وهى تتفحص مفكرتها ، ولوح كتابة من الذى يتم تثبيت مشبك فى أعلاه :

- « ليس لديك مواعيد أخرى اليوم يا هر (شوندر) .. لقد انتهى ما هو مطلوب منك نحو المؤتمر .. هل ترغب فى قضاء بقية اليوم فى إجازة ؟ »
هز رأسه فى رضا كما يفعل أى أستاذ سويسرى فى مشتقات الدم تخبره سكرتيرته أن جدولته اليومى خال ، وقال لى :

- « سأدعوك إلى العشاء يا (رفعت) .. هناك بعض أمور فى حديثنا لم ننته منها بعد .. »

وكما يفعل أى شخص آخر يدعوه أستاذ سويسرى فى مشتقات الدم : قبلت الدعوة ، وكأنت (مارتا) معاً كالعادة .. لقد اعتدت هذا هنا .. السكرتيرة أحياناً ليست لها حياة خاصة ، بل هى ترافق رئيسها فى كل مكان وتنسق كل مواعيده وتكتب كل ما يقول كأنه إلهام علوى .. ولهذا ثمنه طبعاً .. أما عن أسرة الأستاذ فكأنت فى (بازل) كما لا بد أنكم تعرفون ..

كان اسم المطعم مخيفاً به ذلك العدد من الشينات والخاءات الشبيهة بنجوم الجودة السياحية ، ومن الداخل كان فاخراً من الطراز الذى يشعر بتضاؤل حلقى .. سادة شديداً الرقى من طراز رجال العصابات والمختلسين والأفاقين ، جاءوا من أطراف المعمورة كى يطمئنا على أن الحكومة السويسرية لم تستول على أرضيتهم بعد .. البعض عاطل بالوراثة والبعض كالفح حتى صار عاطلاً .. للأسف لنا لم أسرق مصرفاً أو أكون ثروة من المخدرات أو إرث عمى التدوق ،

٣- هذا الرجل بيزعم ..

كنا قد اعتدنا وجود (بيتر فرانكنشتاين) فلم يعد اسمه يثير دهشتنا .. الطبيب الألماني اشرفى الشاب الذى يحمل اسماً غريباً حقاً لكنهم لم يندهشوا نه هنا ، ووجدت أنه من السخف أو قلة الذوق أن ألاحظ هذا وحدى .. إن اسم (فرانكنشتاين) ليس فريداً ولم تخترعه (ماري شيللى) طبعاً .. لقد كانت هناك قلعة شهيرة بهذا الاسم فى ألمانيا فى القرون الوسطى ، عاش فيها كيميائى غريب الأطوار .. ويزعم الأخ (بيتر فرانكنشتاين) أنه من نسل هذا الكيميائى ..

كان (بيتر فرانكنشتاين) جراحاً بارعاً فى السابق ، ثم تخصص - كما يبدو - فى البيولوجيا الجزيئية ، ومعظم ما يقول أنغاز لا يمكن فهمها أو تصديقها ..

كان من المدعويين إلى المؤتمر ، وقد لغت نظرى من البداية بمظهره الغريب .. له شعر (أينشتاين)

الأثعث وعيناه الحنونان المندهشتان .. العينان اللتان سرقهما (كارلو رامبالدى)^(*) بعد أعوام ليجعلهما عينى (إى تى) المخلوق القضاى الشهير اللطيف .. كان (فرانكنشتاين) مشغلاً مشوش الثياب ، لا يكف عن الشرود وارتكاب الأخطاء الفادحة ، وكان هذا يعطيه فتنة خاصة مما يليق بالعلماء ..

حاولت تعرفه مرراً لكنه كان من النوع ذى العقل البخارى الذى لا يستقر أبداً ، ولا يلاحظ شيئاً .. عبقريته جعلته أقرب إلى المجازيب ، ولولا الحياء لراح للعباب يسيل من شدقيه وهو يجول فى أروقة المؤتمر ..

أذكر الورقة التى قدمها جيداً .. فقد فعل ذلك فى يوم الثلاثاء .. كنا فى الساعات الناعسة التى تسبق العشاء ، حيث بلغ منا الإرهاق مبلغه ولم نعد نطبق سماع حرف عن العلم ..

(*) كارلو رامبالدى : إيطالى تخصص فى المؤثرات الخاصة السينمائية ، وله أكبر عدد من الوحوش فى أفلام الرعب ..

وقد حكى المخرج (محمد كريم) عن شرود فيلسوفنا
(توفيق الحكيم) وكيف أنه ليس خالصاً تماماً ، بل
فيه جزء لا بأس به من التظاهر ، حباً في وصف
(الفيلسوف الشارد) .. وكان هذا الشرود الفلسفي
بثلاثي يوماً حين تدخل أول فتاة جميلة القاعة ..

لكن (فرانكنشتاين) كان شاردًا بحق .. لا تظاهر
في الأمر .. وحين بدأ يتكلم راحت عيناه تلتصقان في
جلون وراح اللعب بقطاير من شذقيه ، وأضفت لهجته
الأمماتية تأثيراً ممتعاً كالعلماء المجانين الذين تراهم
في القصص المصورة ..

تكلم عن تجربة غريبة قام بها على الخلايا المكونة
للدم التي قتلها باستخدام جرعات عالية من خردل
النروجين ، وبعد فترة لا بأس بها قام بتعريضها
لجرعات من أشعة الليزر ، وقد بدأت علامات الحياة
تظهر على تلك الخلايا ، واستعادت معدلاتها في
التمثيل الحيوي ، وعضيات الخلية ..

وكان مع الرجل عدد لا بأس به من الصور
الفوتوغرافية التي التقطت تحت المجهر .. طبعاً

في هذه اللحظة يظهر الأخ (فرانكنشتاين) بشكله
الغريب واسمه الأغرب ، ونظرياته الأشد غرابة ..
يظهر لي يقدم ورقة علمية اسمها (إعادة الحياة إلى
الخلايا المكونة للدم باستخدام ليزر الـ ND : Yag) ..
ولم تكن وقتها تعرف شيئاً عن الليزر .. كنا نعرف
أنه معجزة لكن إلى أي حد بالضبط ؟ وهكذا بدأنا
نتحمس ونسبنا أننا لم نعد نطبق حرفاً آخر ..

ظهر على المنصة ، وأسقط مجموعة أوراقه
فاتحنى يجمعها فقط ليضرب سكرتيرة المؤتمر برأسه
في ذقنها ، والخلاصة أنه كان أدنى إلى (الدهولة)
- معذرة للتعبير - مما جعله قريباً بحق إلى قلبى ،
ووجدت بيننا سمات مشتركة لا بأس بها .. بالطبع
كانت شرائحه الضوئية مرتبة بشكل خطأ ، ولم يكن
معه مؤشر ، أما عن حالة منديله الذي أخرجه ليجفف
عرقه فأجارك الله !

إن العلماء يحبون أن يظهروا بمظهر رهبان العلم
الشاردين .. حتى الفلاسفة يعانون من هذا الوبع ،

يستحيل إثبات صدقه من كذبه لأن ترتيب الصور هو
 المفتاح الوحيد هنا .. ضع صورة الخلية الميتة بعد
 صورة الخلية الحية تكن عندك قصة منطقية .. ضع
 صورة الخلية الحية بعد صورة الخلية الميتة تكن
 عندك أسطورة .. من يملك الترتيب الصحيح ومن
 يملك إثبات هذا الكلام ؟ لا أحد .. لا بد من لجنة
 تراقب هذه التجارب عن كثب وتضع الصور المرقمة
 المؤرخة في حوزتها .. عدا هذا لا إثبات هناك ..

لكن العلماء الجالسين لم يرحموا ، وكان منهم عدد
 لا بأس به من منحرفي المزاج الذين أرهقهم الصداق
 وسمع كل ما قيل اليوم ، وكان منهم الكاثوليكي الذي
 لا يقبل مجرد سماع هذه الترهات ، لذا جعلوا منه فريسة
 سهلة لهم .. بالنسبة لى لم أجد مشكلة فى الأمر ..
 فالرجل نصاب أولاً .. هذه نقطة .. النقطة الثانية هى
 أن كل ما يحدث من تغيرات يحدث لخلية خلقها الله
 (تعالى) .. الرجل لم يزعم - لاسمح الله - أنه
 خلق الخلية أو أنه خلق حياتها .. الرجل يعمل



وكان مع الرجل عدد لا بأس به من الصور الفوتوغرافية التى
 التقطت تحت المجهر ..

على أشياء موجودة بالفعل ، وتوقفت عن التمثيل
الحيوى لفترة قصيرة وبشكل مؤقت ..

هنا قال (فرانكنشتاين) فى حماس ويده تهتر
الفعالا :

- « ليس هذا مستحيل التخيل يا سادة ! إن الأمر
شبيه بما نقوم به حين نتعطل الساعة وكل أجزائها
سليمة ، من ثم نهزها مرتين فتعود إلى الدوران ..
اليد العملاقة التى ستهز هذه الخلية هنا هى الليزر! »
هنا شعرت برجفة فى عروقى .. هذه الكلمات قاتها
(فرانكنشتاين) بالحرف تقريباً فى قصة (مارى شيللى)
التي تحمل اسمه .. هذا الرجل يحسب نفسه (فكتور
فرانكنشتاين) .. هذه حالة فصام واضحة لا شك فيها ..
أقسم على هذا ...

تصاعدت صيحات الاستنكار ، وتذكرت أيام الماضى
المباركة حين كان العلماء المعارضون يصيحون
(هووووه ! هرطيبيبيبى !) ويضربون بقبضاتهم على
المناضد ويصقون على (فرويد) أو (داروين) ..

اليوم ثم بعد أحد يجرؤ على هذا .. لابد من تماك
الأعصاب والتعامل بشكل متحضر للأسف ..

فى غيظ صاح (فرانكنشتاين) وهو يضرب المنضدة
بدلاً منهم :

- « أنتم مجموعة من ضيقي التفكير تتظاهرون بأنكم
لستم كذلك ! قولوا لى فارقاً واحداً بينكم وبين من
سخروا من (باستير) حين تكلم عن وجود البكتريا ،
أو من اتهموا (كوبرنيكوس) بالهرطقة .. »

لم تحسن الأمور كثيراً بكلمته هذه ، وقال أحدهم :

- « قل لنا أنت فارقاً واحداً بينك وبين
(لوسترانيموس) أو (ميسمر) أو كل العباقرة الذين
أحالوا الرصاص إلى ذهب ! »

- « لا أخفى أبنى أمقت بطريقتكم التفكير .. »

- « ولا نخفى أننا لا نتق بطريقتك العلمية .. »

هنا نهض الدكتور (شوندر) وهو كما نعرف
يتمتع بشخصية قوية تهوى التدخل فى كل شيء ،
وقال بعد مادنا من مكبر الصوت :

- « لست ميلاً إلى تصديق الأشياء المعاللة ؛ لكنى أرى أن هذا الموضوع جد خطير وشديد الحساسية ، ويدفعنى هذا دفعا إلى طلب إثبات أن الصور الفوتوغرافية هي أرقى وسيلة خداع اخترعها الإنسان ، وأراها لا تثبت شيئا فى هذه الحالة بالذات أكثر من الكلام الشفوى .. لذا أقترح أن يرشح لنا البروفسور (فرانكشتاين) من يتابع أبحاثه و يقيمها بشكل حيادى ! »

هنا قال أحد الجالسين العصبين دوماً :

- « ليس عليه أن يختار بل نختار نحن .. حتى الحوارة لا يختارون بأنفسهم المشاهدين الذين يشاركونهم الألعاب .. »

قال (شوندر) وهو يفتش بين الجالسين فى شغف :
- « لو سمحتم لى فأنا أوشح زميلا كان له اهتمام كبير بهذه الأمور ، وأحسبه ما زال مهتماً .. ها هو ذا !
الدكتور (إسماعيل رفعت) ! »

تصاعدت همهمات وضجيج ، وراح الجميع ينظرون إلى مكان جلوسى فى كراهية لم أدر لها سبباً ، كأئنى بالفعل برهنت على أنهم مخطئون ..

أما أنا فشعرت أن الدم سينزف من خدى من فرط الخجل والارتباك .. مالى أنا وهذا الموضوع ؟ من أنا حتى أكلف بمراقبة أبحاث عالم له ثقله كهذا ؟ على أن أشد ما ضايقتى هو أن اسمى صار مقترناً بالخرافة دوماً .. ضع فى أى مكان تصابياً يزعم أن روح خالته تقمصت المكواة الكهربائية ، عندها يتصايح الناس فى نكاء : (رفعت إسماعيل) ! إنه يفهم فى هذه الأمور ! هاتوه حالا ! حتى كأئنى صنف من الحوارة ..

رفعت كفى بمعنى أنتى لا أجد نفسى راغباً فى ..
..... وهى إيماءة واهنة ضعيفة الشخصية قد تعنى فى الوقت ذاته (أنتى فخور يا سادة بهذا الشرف) ..
لقال (شوندر) فى مرح :

- « هذا ما كنت أتوقعه ! نحن نشكرك يا دكتور (إسماعيل) وننتظر تقريرك فى شغف ! »

لم أقوم أكثر، وكالعادة كانت هذه بداية مشاكلتي ..

* * *

قلت للدكتور (شوندر) وأنا أمسح فمى بالمنشفة
(ولأرجو ألا تكون هذه فضيحة فى هذا المكان) :

- « بالطبع أنا مستعد لقبول تجربة ما يقول الرجل ..
أعرف أنني سأعود لأعلن أنه كاذب ، لكنى بالتأكد لن
أقول هذا قبل أن أجرب .. أنا أضمن لك هذا .. »
- « فى هذا مضيعة للوقت .. لا بد من بعض
الالتقاء .. »

ثم قال وهو ينظر إلى ما وراء كتفى :

- « صه ! هيا هو ذا العصفور قادم باتجاهنا ..
أعتقد أنني سأجرب التعارف الآن ، فلا أظن أن الرجل
لاحظ وجودك فى أثناء المؤتمر .. »

لم يكن هذا غريباً ، فالرجل لا يبدو قادراً على
ملاحظة خرتيت فى غرفة نومه لو كان هذا ممكناً ..
وأنا بطبعى نمط فريد من البشر يستحيل أن تفتححه

العين أو تمر به مر الكرام .. إن من رأيتى يفكرنى
حتى هذه اللحظة باعتبارى حالة متفردة من القبح
والنحول واحتلال الصحة .. لكن (بيتر فرانكشتاين)
لم يرنى قط ..

ناداه دكتور (شوندر) ست مرات حتى انتبهه ،
وبالتالى أطر صحيفة عليها المشروبات يحملها نادل
إلى إحدى الموائد ، وأسقط بكوعه سيدة متأقفة كأنه
يلعب المصارعة التايلاندية ، ثم تعثر فى رباط خذاله
فطار إلى مائدتها ليسقط فى حجرى بالذات ..

معجزة المعجزات أن يظل هذا الرجل حياً حتى
السن التى بلغها ..

وكان التعارف سهلاً بالطبع .. ليس أسهل من
تعارف رجلين أهدهما فى حجر الآخر .. وقال
(شوندر) وهو يمسح ما تساقط على سترة الرجل
من فضلات طعام وشراب ، ويعينه على الجلوس :

- « أرجو أن تسمح للدكتور (إسماعيل) بمعرفة
الكلية التى سيتواجد فيها معك فى أثناء تجاربك .. »

كان هذا مستفزاً طبغاً ومهيناً .. ولو كنت مكانه لأبيت أن أقبل من يفتش علي وعلى دقة تجاربي .. هذا أسلوب يضعه مباشرة في الميزان .. لكن الرجل كان أكثر حماساً من أن يغضب أو يضع اعتبارات للكرامة الشخصية .. كان واثقاً من نفسه أكثر من اللازم حتى بدت له تفاهاتنا كإهانات الأطفال .. من التضحج ألا نمتعض منها ..

قال (فرانكنشتاين) وهو يملأ فاه بكبد الأوز :

- « مم !! أنا واثق من نفسي لهذا أقبل بالتأكيد قدوم هذا الرجل ليعد علي أنفاسي .. مممم ! »

وقبل أن أحتج علي هذا قال موجهاً الكلام لي :

- « إن لدى كوخاً ريفياً قرب (نوسيرن) ، وهو معدّ جيداً لتجاربي ، ولا أرى ما يمنع من أن تقبل ضيافتى إلي هناك .. »

كوخ ريفي معدّ لإجراء تجارب البيولوجيا الجزيلية ؟ هذا الرجل يمزح .. أعرف أنني أبدو أحمق لكن ليس إلى هذا الحد .. سألقته وأنا أضغط على أعصابي :

- « ظننتك ألمانياً ، فما دور (سويسرا) في الموضوع ؟ »

- « إنني أعمل هنا من فترة لا بأس بها ، فجو ألمانيا الشرقية لا يناسبني .. إن الشيوعية لم تخلق لي .. والمشكلة هنا هي أن الجميع يهاجمني : الغربيون يزعمون أنني مبشر ماركسي ، والماركسيون يعتبرونني مارقاً عميلاً للغرب .. »

ونظر حوله في حذر وهمس :

- « إنهم يعنون علي أنفاسي .. لكنني محتّم بالحكومة السويسرية وحرية البحث العلمي .. ولسوف تجد أن تجاربي مثيرة حقاً يا بروفيسور (مكسويل) »

- « (إسماعيل) ! »

قلتها في ضيق .. لكنه واصل كلامه :

- « ماذا تعرف عن النيوز ؟ »

- « لا أعرف عنه شيئاً .. أعرف عنه بالضبط

ماتعرفه خالتي عن وقود الصواريخ ! »

اتسعت عيناه انبهزاً وهتف :

- « خالتك خبيرة فى وقود الصواريخ ؟ يا للتقدم العلمى فى بلدك ! »

شعرت باستمتاع حقيقى ، وقتت لنفسى إن أيامى مع هذا الأحمرق هى خيرة لا تنسى .. متعة حقيقية المفترض أن أدفع من أجلها مالا .. وواصلت سماع ما يقول فى تذذ .

رحت أدير المعلومات التى قالها فى رأسى .. طبعا لم أتذكرها وقتها ولم ترسخ فى ذهنى إلا بعد أعوام حين قرأت عن الاليزر أكثر من هذا ، واستطعت أن أفهم ما كان يقوله وقتها ، وفى حيرة سألته :

- « هل تفهم فى هذه الأمور حقاً ؟ لا بد من خبير فيزياء معك فى هذا الصل بالغ التعقيد .. »

ابتسم فى ثقة ، وابتلع ما بكأسه ثم وضعه على المائدة فأوقع ملعتين على الأرض ، وقال :

- « بالطبع لست وحدى .. مع أختى (أجاتا فرانكنشتاين) وهى خبيرة فى فيزياء الضوء .. »

قلت لنفسى وأنا أتبادل نظرة صامتة مع د. (شوندر) : مرحباً بك يا (رفعت) فى أسرة المخابيل هذه .. كلهم (فرانكنشتاين) وكلهم يعمل فى أشياء غريبة جديرة بأسمائهم الراهية ..

قال لى (فرانكنشتاين) وقد عاد إلى شروده :

- « يمكننا الرحيل بعد غد ، فقد انتهى ما كان يثير شغفى فى المؤتمر .. ما بقى هو هراء .. »

ونظرت إلى (شوندر) فابتسم لى بمعنى أن هذا لدرى وعلى أن أقبله ، على أنه قال لى بعد ما انصرف الأستاذ المخبول :

- « خذ كل حذر ، فهذا الرجل مولع بآثارة دهشة من حوله ، ولا أزعم أنه كاذب ، لكنه سريع الوثب إلى الاستنتاجات ، غير دقيق فى طريقته العلمية .. سيخوض فى مناطق صعبة نوعاً .. »

قلت له ما معناه أننى كبرت الآن ولم يعد من السهل خداعى ، ثم اتجهت إلى موظف الاستقبال لأطلب منه - بالانجليزية طبعا - أن ينهى حجزى بالفندق

تبدل وجهه فضحكت لأظهر له أنني أمزح ، ثم
هزرت رأسي وابتعدت ...
حقاً لن يكون (فرانتشستين) سهل المعاشرة ..

www.liilas.com/vb3

RAYAHEEN^

لأني متوجه إلى (لوسيرن) بعد غد ؛ لأكون مع
البروفسور (فرانتشستين) العظيم .. قال لي
الموظف باسمًا :

- « هن تتحدث عن البروفسور المعنون منكوش
الشعر الشبيه بعلماء القصص المصورة ؟ هذا الرجل
قد ورث من اسمه شيئاً .. ولو كنت مكاتك لحانرت
منه يا سيدي ! »

أثارت دهشتي طريقته الوقحة قليلاً في الكلام عن
الرجل ، خاصة والبروفسور ليس بيننا ، وليس من
عادة موظفي الفنادق أن يسغروا علانية من النزلاء
خاصة في فندق مهيب كهذا ..
قال وقد تبين حيرتي :

- « لقد سألتني منذ يومين عن مقبرة أو مشرحة
قريبة ! ليس هذا سؤالاً معتاداً ولا محبباً هنا ..
خاصة لو رأيت التهفة في عينيه وهو يسألني .. »
- « الأذواق تتباين كما تعظم .. أنا عن نفسي مولع
بمدايق الجلود ، ولا أدرى سبب هذا الروع العجيب ..
صدقني ! »

٤- في (لوسيرن) ..

(لوسيرن) .. المزار المسيحي الكبير في
(سويسرا) ..

هل تريد أن تعرف عنها شيئاً ؟ أنا مثلك لا أحب
الجغرافيا وأجدها علماً شديد الإملال ، لكنى لا أنكر
لحظة أهميتها ، ولو لم تكن الجغرافيا لا يضطر الناس
إلى اختراعها ..

(لوسيرن) مدينة في وسط (سويسرا) حيث يلتقى
نهر كبير مع بحيرة تدعى (لوسيرن) ، وقد تبلورت
المدينة حول دير بنى في القرن الثامن .. والمدينة
مركز صناعي كبير للمنسوجات والكيمائيات ومركز
تجارة ضخمة منذ إنشائها .. وقد اشتهرت بالحديقة
الزجاجية ؛ وهي من بقايا عصر الحديد ، وأسد
(لوسيرن) الذي نحته من الحجر نحات دنماركي ..
وهو تخليد للحارس السويسري الذي مات وهو يدافع
عن قصر (التويلري) في أثناء الثورة الفرنسية ..

وصلت إلى هناك مع الدكتور المجنون
(فرانكشتاين) الذي لا بد أنكم تعرفونه الآن بشكل
أفضل .. ثم يكن رجلاً شيئاً بالواقع .. ليس من
الضروري أن تكون مجنوناً لتكون شيئاً .. كان مسلياً
طيب القلب ، ولو تجاوزنا عن الحرج الذي يسببه لي
من حين لآخر ، وشروده المحير الغريب ؛ لقلنا إنه لم
يكن بهذا السوء ..

وفي سرى قلت لنفسى : رحمك الله يا أمى .. كيف
لو عرفت أنني الآن في سويسرا أتزده مع البروفسور
(فرانكشتاين) شخصياً ! ولكن لا .. ما كانت أمى
لتندهش لأنها لم تسمع عن (فرانكشتاين) أصلاً ،
ولا تعرف أية دلالات مخيفة للاسم .. في الغالب ستقول
لو عرفت : فليكرمك الله يا بنى أنت وكل هؤلاء
الأطباء الخيرين من أمثالك !

ولم تطل بإقامتنا بالمدينة الجميلة أكثر من يومين ،
لأننا انتقلنا بعد هذا إلى منزل (فرانكشتاين) الريفى
الذى يبعد بضعة أميال عن (لوسيرن) .. لكنه يطل
على بحيرة (لوسيرن) ذاتها ، والمشهد فى الحقيقة

جميل ، يذكرك بتلك البطاقات التي يرسلها
المسافرون بالخارج لإغاضة أقرابهم الذين لم يروا
أبعد من (الدلنجات) .. وخطر لى أن مكثاً بهذا
المسرح هو مكان خال من الرعب فى الغالب .. لا بد
أننى لن أجد الظروف المناسبة لممارسة هوايتى
المفضلة ..

كان البيت عبارة عن فيلا من طابقين ، تمتد
لمساحة لا بأس بها ، وتحيط بها حديقة معتلى بها ..
وتوجد درجات حجرية هابطة تقود إلى طريق
مرصوف بحجارة الإسكافى ، وهذا الطريق يمتد حتى
يصل إلى البحيرة وإلى قارب بمجدافين مربوط إلى
مرسى صغير ..

وحين تقف عند المرسى وترفع عينيك لأعلى ، تجد
أن المنزل يقع عند أطراف غابة لها طابع قصص
الأطفال الأوروبية تماماً ، فلن يدهشك أن تجد ذات
الرداء الأحمر تخرج فجأة حاملة سلتها ، أو ترى
الدببة الثلاثة تمرح حتى تبرد أطباق الحلوى الخاصة

بها ، أو لربما وجدت الأخوين (جريم) اللذين قاما
بتأليف أكثر هذه القصص يبحثان عن إلهام جديد ..

كان هناك خادم عجوز مهذب راح يساعدنا فى
إنزال الحقائب من العربة ، وبطبيعة الحال كان
يتحدث الألمانية ، وأنا لا أفهم منها إلا ثلاث كلمات
فى كل جملة .. إن الألمانية هى لغة ستين فى المائة
من السويسريين ، ولها هنا اشتقاق خاص غريب
على المسمع يسمونه (الألمانية السويسرية)
أو الشيفيتزرتوتش Schwyzertutsch ..

المهم أننى عرفت أن اسم الخادم هو (أدولف)
- ليس (هتلر) طبعاً - وكان من طراز راق ، لا يبدو
أنه قاتل أو يخنق الضيوف ليلا ككل خدم القصص ..
هذه نقطة مهمة تروق لى ..

أما من جاء بعد هذا فأرق شئ رأيت فى حياتى ..
لاحظ أننى لم أقل أجمل بل قلت أرق .. هناك فرق
واضح بين اللفظتين .. بالطبع ما كان أحد ليجرؤ على
اتهام (أجاتا فراكنشتاين) خبيرة فيزياء الضوء

بالجمال .. لكن ما من أحد يجرو على إنكار أنها هشة بلورية قابلة للكسر ، وكنت ترى تحت بشرتها تلك الأوردة الزرقاء الراهفة تتلوى بحثاً عن خلاص ..

حقاً كان لها ذلك الطابع القوطي أو الفكتوري - لا أدرى بالضبط - للنساء في قصص الرعب القديمة ، حيث كلهن هشات رقيقات مبهوتات باهتات ، وحيث لديهن جميعاً استعداد دائم للإغماء في أية لحظة .. سرعان ما يهوين أرضاً كالورود الذابلة ويمتن !

عانت أخاها للمجنون في شوق .. قال لها بالألمانية وهو يحك شعره كالقروذ في الجبلية :

- « هذا الرجل جاء لمراقبة أبحاثي والبرهنة على أنني نصاب .. إنه لا يجيد الألمانية لكنه يفهمها جيداً .. خذى الحذر حين تتكلمين أمامه ، وبالمناسبة اسمه هو »

ثم تصلب لحظة وقد أدرك أنه نسي اسمي بعد كل هذه الأيام لنا معاً ، فقلت رحمة به وأنا أصافحها في تأدب :

- « (رفعت إسماعيل) .. مصرى الجنسية .. لا تتضايقي بشأن اللغة المختارة لي ، فأتنا أفهم ما يقال بأية لغة حتى لغة (الهوتو) ، لكنني بالتأكيد أفضل الإنجليزية ! »

هزت رأسها في فهم ، ثم سقطت - كما توقعت بالضبط - فاقدة الوعي !

* * *

أقسم لكم إن هذا ما حدث .. لا مزاح في الأمر ..

لقد غابت الفتاة عن الوعي بلا سبب ، ولمجرد أنها صافحتني .. يبدو أنني ساحر أكثر مما حسبت عن نفسي ..

إلا أن (فراتكنشتاين) بدا مذعوراً بحق ، وجثا على ركبتيه جوارها يفرك كفيها ويرتجف ، وبعبصية صاح :

- « ساعدني يا دكتور (رفعت) ! أرجوك .. أكنت طبيياً ؟ »

- « يا سلام ! كنت أظنك طبيياً أنت الآخر ! »

- « نعم .. نعم .. كدت أنسى .. لكنه ضعيف ..
قلبها .. لم يتحمل كل هذه الانفعالات .. »

- « أية انفعالات ؟! يا لكما من أحمقين ! نحن لم
نتبادل ثلاث كلمات ! »

صاح في عصبية حقيقية هذه المرة ، وقد غطي
شعره عينيه :

- « إما أن تساعدني أو تصمت ! »

وكان الخادم قد أحضر بعض ماء في كأس ، فصب
فيه قطرات من قارورة صغيرة في جيبه ، ثم ساعد
(فراتكنشتاين) على أن يذويه من شفطتي الشبابة
المريضة ، فبدأت ترشفه في شيء من حذر ، ثم
أفرغت الكأس كله .. وبدأ لون شفطتها يستعيد
اصفراره السابق الدال على الصحة ..

ساعدناها على دخول المنزل ، وأجلسناها على
أريكة تشبه الفراش ، مما ساعدها على أن تسترخي

تماماً ، ورحت أرقب ما يجري في حيرة .. إما أنها
مخبولة أو مصابة بمرض عضال في المخ أو القلب ..
لكني لم أمنع نفسي من ملاحظة أنها ازدادت جمالاً
بهذا الوهن .. حقاً لقد خلق هذا الجمال الفكتوري كى
يكون مريضاً دوماً .. ولسوف تكون في أجمل صورها
حين ترتدى قناع الموت ..

سألتها وقد جلست على أقرب مقعد :

- « ألم يصف طبيب محترم مرضك هذا باسم
لايني ؟ »

- « بلى .. » - قالتها وهي تمسح وجهها بظهر
كفها التحيلة - « إنه الصرع ياسيدى .. صرع
بلا تشنجات ولا رغو على الشفتين .. لكنه ... »

ولعقت شفطتها لتزيل القشور الجافة على جانبي
لمها :

- « .. لكنه يؤدي الغرض ذاته ولسوف يقتلنى
يوماً ما .. »

كان (فرائد كشتاين) مستمراً في هرش شعر رأسه المبعثر حتى بدا كالمجاذيب تماماً ، ثم - دون إنذار - نهض متجهاً إلى الطابق الثاني .. سمعت خطواته وهو يصعد في درج خشبي .. نظرت لها في عدم فهم ، ثم فهمت .. لقد خطرت له فكرة ما ، وهكذا - في ربع ثانية - نسي كل شيء عن الإغماء وعن قلبها الثواهن وعن .. ببساطة فارحاً ليدون هذه الفكرة أو يجربها !

ما إن أدركت الفتاة أننا وحيدان حتى اتسعت عيناها رعباً .. فيما بعد دفقت النظر فأدركت أن عينيها اتسعتا لا رعباً ولكن لتحذيري ، وقالت همساً :

« اسمع ! لا تكن أحمق ولا تكن طفلاً ! اهرب من هنا كأن الجحيم يطارذك .. اهرب ما دمت تقدر !! »

ثم عادت لتريح رأسها على الأريكة وتتن !

كان كل هذا متوقفاً .. الفتاة تفعل وتقول بالضبط ما تفعل وتقول مثيلاتها في دراما الرعب القوطي والفكتوري .. لا بد من أن تنفرد بالأحمق الوافد على المكان لتتذرد من عواقب حماقته ..

وهكذا خطر لي أن الفتاة ليست على ما يرام .. إنها ببساطة تمثل دوراً هستيريًا ما .. يبدو أنها بدورها قرأت الكثير من روايات الرعب هذه ..

قلت لها همساً وبغيتظ لم أخفه :

- « طبعاً ستقولين لي إن أهوالا لا يتصورها عقل تدور في قبو هذا البيت .. والذكي الوحيد هو من أسلم ساقيه للريح »

- « أنت تتكلم بلساتي ! »

ثم نهضت واستندت إلى مسند الأريكة كأن الدوار أصابها ، وقالت :

- « أنت حر في اختيارك ، لكن دعني أقل لك إنك ستكون شاهداً على ما يأباه الدين والقانون والضمير .. »

- « كل هذا الضجيج من أجل تجربة الليزر على ؟ »

- « ليس هذا هو السبب بل .. »

كان (فرائد كشتاين) مستمراً في هرش شعر رأسه المبعثر حتى بدا كالمجاذيب تماماً ، ثم - دون إنذار - نهض متجهاً إلى الطابق الثاني .. سمعت خطواته وهو يصعد في درج خشبي .. نظرت لها في عدم فهم ، ثم فهمت .. لقد خطرت له فكرة ما ، وهكذا - في ربع ثانية - نسي كل شيء عن الإغماء وعن قلبها الواهن وعن .. ببساطة فارحاً ليدون هذه الفكرة أو يجربها !

ما إن أدركت الفتاة أننا وحيدان حتى اتسعت عيناها رعباً .. فيما بعد دفقت النظر فأدركت أن عينيها اتسعتا لا رعباً ولكن لتحذيري ، وقالت همساً :

« اسمع ! لا تكن أحمق ولا تكن طفلاً ! اهرب من هنا كأن الجحيم يطارذك .. اهرب ما دمت تقدر !! »

ثم عادت لتريح رأسها على الأريكة وتتن !

كان كل هذا متوقفاً .. الفتاة تفعل وتقول بالضبط ما تفعل وتقول مثيلاتها في دراما الرعب القوطي والفكتوري .. لا بد من أن تنفرد بالأحمق الوافد على المكان لتتذرد من عواقب حماقته ..

وهكذا خطر لي أن الفتاة ليست على ما يرام .. إنها ببساطة تمثل دوراً هستيريًا ما .. يبدو أنها بدورها قرأت الكثير من روايات الرعب هذه ..

قلت لها همساً وبغيظ لم أخفه :

- « طبعاً ستقولين لي إن أهوالا لا يتصورها عقل تدور في قبو هذا البيت .. والذكي الوحيد هو من أسلم ساقيه للريح »

- « أنت تتكلم بلساني ! »

ثم نهضت واستندت إلى مسند الأريكة كأن الدوار أصابها ، وقالت :

- « أنت حر في اختيارك ، لكن دعني أقل لك إنك ستكون شاهداً على ما يأباه الدين والقانون والضمير .. »

- « كل هذا الضجيج من أجل تجربة الليزر على ؟ »

- « ليس هذا هو السبب بل .. »

في اللحظة التالية عاد (فرانكشتاين) من الطابق العلوى، وهو يحمل في يده ما يشبه المرطبان الزجاجى الضخم .. كان مليئاً بمسائل أصفر رائق - أهو الفورمالين ؟ - وبه أنسجة عضوية لم أتبين كنهها ، ورايته يقامنها فى غيظ ، ثم يصيح :

- « يا لك من حمقاء ! أنت لم تعرضى الأنسجة بالنظام الذى اتفقنا عليه قبل سفرى .. لقد تحللت هذه !! »

ودون كلمة أخرى طوح بالمرطبان فى وجه الفتاة ، ليستقر ويتهشم على الحائط ، على بعد ثلاثين سنتيمتراً من وجهها ، ويتناثر السائل على ثيابها وبشرتها .. ورأيت قطعاً من تلك الأنسجة البشعة ملتصقة بالأريكة والجدول حول الفتاة .. المخيف أن الفتاة لم تصرخ أو تثب فارة .. بالأحرى لم تبدل من وضع وجهها لحظة .. فقط ظننت تتأمل أحاسيا كأنما اعتادت هذه الأمور .. واضح أن هذه القصة يقذف فى وجهها أكثر من مرطبان زجاجى كل أسبوع !



انهمس بخبث وتساقت منه فطرتنا عرق وهو
يلهض من جديد ، وهمس :
« لن نحطم النرة .. بل سنحطم ذلك الحاجز
الفاصل ما بين الموت والحياة 1 » .

★ ★ ★

www.liilas.com/vb3

RAYAHEEN^

قلت له في كياسة وأنا أساعدها على النهوض :
« معاذ الله أن أتدخل في هذه المحادثات الأسرية
الحميمة ، لكن ألا ترى أنك تبالغ قليلاً في معاملة هذه
الفتاة ، التي كانت في نوبة صرعية منذ ثلاث
دقائق ؟ »

وقالت الفتاة بصوت هادئ :

« أنت ظلمتني يا (بيتر) .. لقد فعلت كما
طلبت مني تماماً لكن قاتون الطبيعة أقوى منا
معا .. »

في ضيق غمغم وهو يدور ليجلس على إحدى
الأرائك :

« هي شقيقتي .. وتعرف طباعى جيداً .. تعرف
كذلك أنني لا أمزح في تجربة عمري هذه .. »

« وما هي التجربة التي تستدعي كل هذا الحماس ؟
لسنا بصدد تحطيم النرة .. لقد فعلها (روبرتورد)
إن لم تخنى الذاكرة .. »

٥ - بعد العشاء ..

كان العشاء شهياً ..

لست خبيراً بهذه الأطعمة السويسرية أو الألمانية ،
ومعلوماتي هي أن المطبخ الألماني هو أسوأ مطبخ
في القارة .. فقط الألمان يمزجون العسل بالخرنوب
بالفلفل في مزيج رهيب .. لكنني أكلت ولم تكن لدي
تحفظات سوى ما عرفه (فراتكنشتاين) عن عاداتي
الدينية بصدد الدجاج المخنوق ولحم الخنزير
والخمور .. لكنني بعد قليل تذكرت مشهد المرطبان
المهشم وما يحويه من أشياء بشعة ، هنا كان يوسعي
أن أقسم على أن ما أكلته له ذات المذاق .. احتشدت
العصارة في أعلى معدتي ، وزهدت الطعام تماماً ..
حقاً أنا طبيب ولا شيء يقدر على إثارة اشمنزلزي
حتى العيون المقلوعة ، لكن لبت ما كان بالمرطبان
عيوناً مقلوعة ! إذن لأكلت بشهية !

قال (فراتكنشتاين) وهو يلتهم بجنون ما أمامه
كأنما هو رهان :

« لراك لا تأكل .. »

« قد أثار السفر على معدتي بعض الشيء .. »

(أجاتا) أيضاً لم تكن مهتمة بالأكل .. كانت قد
عققت شعرها واستندت بذقنتها على قبضتها اليمنى ،
وراحت بوجه شاحب باهت حزين - كأنه وجه مريضة
لرن في قصة عاطفية فرنسية - ترمقتي ، وفي عينيها
ألف سؤال وألف إجابة ..

جاء (أدولف) بالقهوة ، ومع ما تبعته راحتها في
النفس من استرخاء وحب ثرثرة ؛ قال (فراتكنشتاين) :

« قد حان الوقت كي نتكلم بالتفصيل عن نوعية
التجارب التي أقوم بها يا دكتور (ميخائيل) هاهنا .. »
« الاسم هو (إسماعيل) ياسيدي إن
سمحت لي .. »

في ضيق غمغم وهو يهز يده كأنما ليدعوني
للنسيان :

والطريقة التي تتحرك بها جزيئات من الكربون
والهيدروجين لتأكل وتفكر وتحب ؟

شعرت بقشعريرة .. إلام تفضى هذه المحادثة بالضبط ؟
أراها تتوغل في الأراضي الشائكة المعهودة لتقود إلى
المستقع المخيف .. أخذت نفساً عميقاً ونظرت إلى
اليدى (ماكيت) .. معذرة .. أعنى (أجاثا) طبعاً فوجدتها
ترمقني بتلك النظرة الشفافة الخائفة .. النظرة التي
التمعت في عين أكثر من غزال رأى طرف سهم الصياد
من بين الأحراش ، ولم يدر قط ما هو ..

نهض (بيتر فرانكنشتاين) حاملاً القدر في يده
اليمنى والظيق في الأخرى ، ومشى إلى الجدار الذي
توسطه صورة لم أذكر كنهها من قبل .. كانت تمثل
خنزيراً برياً عملاقاً يهاجم فتاة من فتيات القرون
الوسطى الصارخات المبهلات .. وثمة فارس يأسل قائم
ملوحاً بسيفه وقد اتوى أن يخرب بيت الخنزير ..
الصورة ذكرتني كثيراً بصورة القديس (مارجرس)
والثنتين التي نراها في بيوت الأخوة المسيحيين في
(مصر) ..

« لا عليك .. لا عليك .. الحقيقة هي أنني يجب أن
أرجع إلى الوراء عدة قرون .. ربما إلى القرن الخامس
عشر .. أنت تعرف أنه توجد في ألمانيا قلعة باسم
(فرانكنشتاين) ؛ وهذا هو جدى الأكبر الذى منح
الأسطورة اسمه .. ويؤمن عدد لا بأس به من النقاد
أنه هو من أنهم (مارى شيللى) باسم الدكتور
(فكتور فرانكنشتاين) .. حسن .. هذه نقطة يصعب
التأكد منها لأن عدداً معائلاً يؤمن بأن الاسم مشتق من
اسم الأمريكى العظيم (فرانكلين) .. إلا أنني أومن
بأن كل مولود يحمل جزءاً من حظ اسمه .. وقد
حملت أنا ذلك الاسم الذى يرمز للعبقريّة المجنونة
التي تتجاوز حدودها في العالم كله .. بل ، إن الخطأ
الشائع في العالم كله هو أن (فرانكنشتاين) هو اسم
المسخ .. والحقيقة هي أن (فرانكنشتاين) هو اسم
العالم الذى صنع المسخ .. لهذا يبدو اسم كاسمى هذا
رهيباً لا يبعث على الارتياح ، وربما يحمل ذات رنين
اسم (تراكيولا) أو (نوسفيراتو) ..

« كل مولود يحمل جزءاً من حظ اسمه .. ترى هل
هي صدفة أنني مهتم منذ صباى بالبيات الحياة

سألت (بيتر فرانكنشتاين) في حذر :

- « هل أنت واثق من أن الفارس ليس من جدوك ؟ »

- « لا بالطبع .. »

- « ولا الفتاة ؟ »

- « ولا الفتاة .. »

- « وماذا عن الخنزير ؟ »

قال في فخر وهو يسكب محتوى القدر على الأرض :

- « أما هذا فنعم !! »

- « الخنزير البري جدك ؟ »

- « بل من اخترعه ! جدي هو من اخترع هذا

الخنزير - أو كذا تقول الأسطورة - وقد مات هذا الفارس المغوار في أثناء الصراع الرهيب ، فلم يستطع إنقاذ الفتاة^(*) .. »

(*) حقيقة .. أضحى طبعاً أن هناك أسطورة ألمانية حقيقية بهذا

المعنى ، وبطلها يدعى (فرانكنشتاين) !

ابتلعت ربيقي وتأمّلت اللوحة .. ما زلت لا أفهم ما يقول ..

قال وهو يسقط القدر أرضاً فيتهشم ، وإن كان لم ير هذا :

- « معنى هذا أن جدودي حاولوا .. ربما نجحوا في الشيء الذي اشتهروا به .. إن (ماري شيللي) لعبت دور المؤرخة أكثر منها أديبة ، وقد اكتفت بأن حكّت لنا ما كان .. »

قلت في حدة وقد بدأت أفهم :

- « كف عن هذا الهراء يا دكتور (فرانكنشتاين) .. كلاًنا رجل علم يعرف أن ما تقوله مستحيل .. »

- « الفروض العلمية التي تكون الاستحالة مقدماتها لا تصلح لاستخلاص النتائج .. »

ونظر إلى الوراء حيث كانت أخته تنظر إلى السجادة العتيقة وترتجف من فرط رعب والفعال ، وقال :

- « (أجاتا) يا عزيزتي .. قولي شيئاً لهذا المتعصب .. »

قالت دون أن ترفع عينيها كأنما قارفت إنمًا كبيرًا
تخجل منه :

« دعنا نصحبه إلى القبو يا (بيتر) وهناك
سيرى .. ولمنوف يصدق .. حتمًا سيصدق .. هذا لو
كان رجل علم بحق خاليًا من التعصب .. »

* * *

« سيدى .. كل ما تعلمته عبر هذه الأعوام هو :
لا توجد قواعد ثابتة .. التجريب هو المقياس الوحيد لى ..
قل لى إن (مارتا) تخرج النار من أذنيها فى الليالى
القمرية .. لا مشكلة عندى .. فلا توجد لدى قناعات
أو تحيزات مسبقة .. دعنا نر ما سيحدث لها فى ليلة
قمرية .. دعنا نقسه جيدًا ونسجله ونفتش عن تفسير
علمى له .. »

* * *

كانت قاعة طولها ولكن لا .. لست فى الواقع
واجدًا جدوى للوصف (البلازكى) من طراز (غرفة

طولها أربعة أمتار وعرضها ثلاثة أمتار ، بها إهرير
مجاور للحائط لارتفاعه ربع بوصة ترسم عليه زهور
الجلادبولس التى لونها الفان باللونين الأخضر
والأرجوانى) .. لا داعى لهذا الإطناب ، فلم يعد أحد
يمك مزاجًا رائعًا للتخيل إلى هذا الحد .. لنقل إليها
قاعة وكفى .. بها أكثر من مجهر ، وأكثر من جهاز
إشعاع غريب المظهر ، وأكثر من طبق (بترى)
يبدو أن ما به باكتريا أو فطر ما .. والقاعة كلها
محاطة بالستائر التى تقود إلى أبواب .. هل قلت كل
شء ؟ لا .. هناك تلك الرفحة العضوية الدالة على
تعفن لا يأس به .والتى لا أعرف مصدرها .. وهناك
الإضاءة الزرقاء العامة المريحة للأعصاب لبضع
دقائق ، قبل أن تتبين أنها خانقة كريهة ..

وتحت عدسات المجهر الأول رأيت خلايا حية ..
خلايا حيوانية .. ثم رأيتها بعد الموت وقد بدأت
علامات التحلل العضوى تظهر عليها ، ثم رأيت
الخلايا فى حالة انتعاش .. قلت له وعينى تخفق ألمًا
بعد ما أجهدتها نظرًا فى العدسات :

- « هذا جزء بسيط لا أهمية له في تجاريس ، لكنه مهم لإخراس المعارضين .. سأشرح هذا وأكثر فيما بعد ، أما الآن فإيا حبذا لو جئت معي إلى صومعتي السرية حيث لم يدخل بشر قبلك ! »

* * *

www.liilas.com/vb3

RAYAHEEN^

- « من جديد يا سيدي لا أرى أن هذا يدل على شيء .. لا بد من البدء من الصفر ، وتوثيق النتائج بعناية .. لا بد من أن أضع أنا علامة على مزرعة الخلايا لأعرف أنها هي بالذات ما نتكلم عنه .. »

لهتسم وأدركت أنه لم يصغ لي بل كان يفعلها مجاملا ، أما عقله فكان مع مرطبان آخر يحوى عينات عضوية لم أدر كنهها .. رأيتة يقرب منها شيئاً يتدلى من السقف بمجموعة معقدة من الروافع والتروس ، كأنه مدفع آلي لكنه مزود بعدسة في مقدمته ، وبحنكة راح يضبط الزاوية والاتجاه كي يمر الضوء الأحمر المنتظم عبر المرطبان ، ثم نظر لأخته شقراً ومسح أنفه ، وواصل العمل في تفقد العينات ..

قلت :

- « تعرضون هذه العينات لليزر ؟ »

قال وهو يزيح بعض الستائر الكثيفة :

٦- الشيء تحت الملاءة ..

كانت هذه الغرفة الصغيرة الضيقة هي مصدر الراحة .. عرفت هذا .. شممته .. البرد في كل مكان .. برد يجمد الدم في عروقك ، ويحذف فوق فقرات ظهرك كما يحدث في أقلام الرسوم المتحركة .. برد لم يأت من عالمنا ولم تر له مثيلاً من قبل ، ولكن من عالم جنيدى ما .. من كوكب جنيدى ما .. ربما (بلوتو) أو (نيبتون) ، حيث الصقيع هو الأقوى ، والظلام هو الأظفى ، والبرودة هي اسم اللعبة ..

لقد أراح (فرائكنشتاين) الستائر السمكية لأرى في السقف ثلاثة مصابيح تتدلى من نظام توجيه ميكانيكى معقد ، يسمح بتغيير الزوايا بدقة متناهية من مفاتيح على الجدار .. وأدركت أن ضوء المصابيح الثلاثة يتقاطع عند هدف واحد ..
هدفاً في مركز الغرفة

هدف يرقد على سرير فحص هناك ..

هدف تحت ملاءة بيضاء متسخة ملأها البقع ..

هدف له طول الجسد البشرى وارتفاعه ومعالمه الخارجية ..

كنت أرتجف ذهولاً وهلعاً ، ونظرت إلى السوراء حيث كانت الأخت (أجاتا) تنظر لنا في توجس ، ثم اتجهت نحو أحد المحولات العديدة المثبتة إلى الجدار ، ويبدو بلورية شفافاً راحت تعيد ضبط بعض الأرقام ، ثم همست بذلك الصوت الأفعوانى (بلا داع طبعاً لأن المكان منعزل) :

- « الجرعة عالية بحق .. أرى أن ننسحب أو ترتديا المناظير الواقية .. »

قال (فرائكنشتاين) وهو يناولنى ما يشبه المنظف الوافى للحام :

- « لا داعى .. سنضع المناظير يا ملاكى .. إن الدكتور (رفعت) لابد أن يرى هذا .. »



وارتدى مثنى ، وفعلت هي المثنى ذاته ، حتى شعرت
 كأننا لصوص منهمكون في السطو على خزينة مصرف ..
 كان الحجاب كثيفاً ولم أر شيئاً في البداية ثم تزايد
 النور ببطء ، وبدأ يحترق الغمامة السوداء على
 العيونات .. الإشعاع يتزايد أكثر فأكثر وشمعت رائحة
 شيء عضوي يحترق (أشعر رأسه أم جلد صنعتي؟) ..

أخيراً أرى حدود الجسد المسجي تحت الملاعة .. يد
 (فرانكنشتاين) تريح الملاعة في شيء من قسوة ..
 وتصلب شعر رأسي على الجانبين ، على حين
 زحف الثلج على ظهري ..

كان إنساناً .. ميتاً .. أو هذا ما بدا لي .. لم يثر
 هذا رعبى ، فأتنا رأيت كل أنواع الجثث والموميאות
 حتى ما يخص (دراكويلا) منها ..

المشكلة هنا هي أن الجسد كان مغطى بالخياطات
 التي توحي بمروره بعدد من الجراحات البدائية ، من
 وقت ليس بالبعيد .. البطن يتوسطها جرح طولى هائل ..
 توجد خياطة عند اتصال كل طرف بالجذع ، وعند

وبصوت مبحوح سألت (فرانكشتاين) :

- « إذن .. أنت .. أنت تقوم بما أظن أنك تفعله ؟ »

قال وهو يبعد أحد الخراطيم عن موطن قدمي :

- « بالتأكيد .. أنت ذكي بما يكفي لتفهم .. »

- « وتعتقد أنك ستنجح ؟ »

- « لن أجح لأنني نجحت بالفعل ! هذا هو نموذجي

الثالث !! »

- « أربها النصاب ! »

★ ★ ★

قالت (أجاتا) بصوتها الواهن المتداعى الذى جاء

من يرد هذه الغرفة ذاته :

- « الأمر قد يبدو عسير التصديق ياد. (رفعت) ..

لكنه حقيقى .. حقيقى كهذه الغرفة وبردها وضولها ..

لقد تمنيت كثيراً أن نفسل .. تمنيت أن نبوء بالخبية ،

لكن التجربة نجحت .. أقولها ذاهلة .. أقولها متناعة .. »

اتصال العنق بالجذع .. الرأس نفسه - وهو عار من
الشعر - تمت خياطة أعلاه إلى باقى الوجه كأنما هي
ثمرة ماتجو تم التزاع ربعتها العلوى ليسهل اتهامها ..

وتسلقت عيناي الوجه ...

كان وسيماً دقيق الملامح فى غيبوبته النهائية ..

وأفركت أن عمره لم يتجاوز العشرين حين مات ..

أما عن الراحة فكان هو مصدرها بوضوح تام ، لكنى

أفركت أن جو الغرفة شديد البرودة قد صنع خصيصاً

لمنعه من مزيد من التحلل ، وهو ما ذكرنى بقصة قديعة

لسيد الكوايبس (لافكرافت) حين كان الرجل غريب

الأطوار لا يلقى صاحبه إلا فى جو شديد البرودة ..

وفى ذات يوم فسد جهاز التبريد فماذا حدث ؟ وماذا

اكتشف الصديق المذهول !!!

ولم يكن البرد هو الاحتياط الأوحى .. كانت هناك تقية

معينة لحفظ الأنسجة عبارة عن خراطيم تدخل وتخرج إلى

عروق الميت ، ويبدو أنها تمر بدورة ما يؤمنها محرك

صغير يتصل بزجاجتين .. إلى حد ما يذكرك المشهد

بجهاز الغسيل الكلوى المنزلى المعروف الآن ..

وتهافت فأخرجت منديلا دفتت فيه أنفها ..

في غيظ صحت :

- « يا سلام ! وأين ذهبت نتائج التجارب الأخرى؟ »

تبادل (فراتكنشتاين) النظر مع أخته .. نظرة من وراء زجاج المنظار الأسود لم أرها لكنى شعرت بها ، ثم قال :

- « دمرتها يا دكتور (رفعت) .. دمرتها لأننى

فنان .. والفنان لا يرضى عن عمله أبداً .. لكنى استوثقت على الأقل من أن المبدأ قائم ، وإننى لأعتمد بشدة على هذا النموذج باعتباره الأنجح !! »

كان شربانى الصدغى يخفق كالمجنون بضخ الدماء فى رأسى ، وأدركت أن انفجار المخ قادم بعد ثوان مالم أهدأ قليلاً ..

وهكذا طلبت الخروج من هنا ..

وفى قاعة المعيشة وضعت قرص التروجنسرين - صديق عمرى المخلص - تحت لسانى ، وانتظرت بعض الوقت ثم أخذت قرصاً مهدداً ..

فى سخريّة قال (فراتكنشتاين) وهو يهرش ماتحت إبطه بلا وقار :

- « قد أثار كل هذا رعبك !! »

- « بل أثار غيظى .. أنا أمقت من يكذب وأنا أعرف أنه يعرف أننى أعرف أنه يكذب !! هذا شخص جدير بحطب جهنم .. »

قالت الفتاة وهى تجلس فى رفق كالأشباح :

- « اهدأ يا دكتور (رفعت) ودعنى أحك القصة من بدايتها .. »

* * *

قالت (أجاتا فراتكنشتاين) :

« نكى أبدأ من البداية يا د . (رفعت) يجب أن أحكى لك نبذة عن الليزر .. لقد كان هذا العلم الوليد يحمل لنا من الوعود ما حملته الكهرباء للناس قديماً ..

« الليزر هو الحروف الأولى من عبارة (تكبير الضوء باتتبايق الإشعاع المحفّز) .. وهى وسيلة لبعث

حزم ضوئية متلاصقة تتراوح مما تحت الحمراء إلى ما فوق البنفسجية .. إن هذا يجعل الضوء قوياً سهل التوجيه ونقياً جداً في ترده ..

« إن الليزر - يادكتور (رفعت) - هو الثورة الحقيقية التي ستهز عرش العلم هزاً^(*) .. وهو بالمناسبة ليس اختراعاً جديداً إلى هذا الحد ؛ فالفكرة مطروحة من عام ١٩١٧ .. لكن ربما ينسب الفضل في اختراعه إلى الأمريكيين (شولو) و (تشارلز تاونس) عام ١٩٥٨ .. وربما (جوردون جولد) .. والعالم الإيراني الأمريكي (علي خافان) ..

« إن المبدأ في كل أنواع الليزر واحد .. تُكسب الإلكترونات طاقة عالية ثم تُحَفَّز بفوتون خارجي ؛ لتخرج فوتونات أخرى بدورها وهو ما يسمى بـ (الانبعاث المُحَفَّز) .. ويمرّ الضوء بعدد من خطوات التكبير بين سطحي مرآة حتى يطلق مسرّاه

(*) ٧ تنس أننا نتكلم في عام ١٩٧٢ وهو زمن مبكر جداً ..

في النهاية عبر سطح نصف مفضّض .. ويكون الوسط الذي يولد فيه الليزر صلّباً أو غازاً أو شبه موصل أو سائلاً ..

« منذ عشرة أعوام كاملة وأنا منبهرة بالليزر .. درستُه وكرست حياتي في الجامعة بـ (برلين) من أجله ، بينما كرس أخي (فراكنتشتاين) حياته لغرض واحد هو فهم طبيعة الحياة .. كلانا كان ينجح ويفشل .. لكننا في النهاية قررنا أن نوحّد جهودنا من أجل هذا المشروع العملاق ..

« لم نستطع استكمال أبحاثنا في (برلين) من ثمّ عبرنا الستار الحديدي وأقمنا في (سويسرا) .. تلك كانت معجزة حقيقية لكنها حدثت ، ومن هنا بدأت نواة هذا المعمل الصغير .. قمت بتركيب وتصميم عدد من أجهزة الليزر ، أما أخي فراح يواصل تجاربه على الخلايا .. مراحل موت الخلية .. محاولة عكس هذا التأثير باستخدام الليزر ..

٢ - برومثيروس ..

قلت (أجاتا) :

« في البداية قام أخى بالحصول على أجزاء آدمية من المقابر المجاورة بالاستعانة ببعض اللصوص .. وبعث بالضبط ما قام به (فكتور فراكنتشتاين) فى قصة (مارى شيللى) ، ثم قام بتوصيل الأجزاء لتكوين هيكل آدمى ..

« بعد هذا كانت العملية المعقدة التى ابتكرتها أنا تبدأ .. كنا نحقق الأنسجة بمادة معينة ، ونقوم بتعريض الجسد إلى الليزر لفترات طويلة .. هناك أجزاء كان تعريضها يتم وهى خارج الجسد مثل العينة التى رأيتها فى المرطبان ، وهى غدة درقية بالمناسبة .. وفى النهاية استطاع الكائن الأول أن يفتح عينيه وينهض .. كان مثيراً للشفقة والرعب ، وكان مشوهاً أكثر من كل شيء تخيلته أو تخيلته السينما ، لكنه كان يتحرك ، وكان له قلب ينبض ، وإرادة خاصة به ..

« أنت كنت موجوداً فى المؤتمر الصحفى ، وسمعت جاتينا من المناقشات .. حسن .. الحقيقة أن هذه الأبحاث تمت منذ خمس سنوات ، لكننا كنا بحاجة إلى تقديم جرعات متزايدة من جرعة من الصدمة الكبرى للعالم .. كمن يخبر صاحبه بوفاة أمه على مراحل ، فيبدأ بالقول إن السيدة العجوز مريضة نوعاً .. ثم إن السيدة العجوز فى المستشفى .. وهكذا ...

« أنت كنت موجوداً فى المؤتمر الصحفى ، وسمعت الغضبة الكبرى التى صاحبت تصريح أخى .. يرغم أنه لم يخرج عن الجزء الأول من الخبر (السيدة العجوز مريضة نوعاً) .. ترى ماذا سيحل بنا لو أعتنا باقى الخبر ؟ إننى أرتجف لهول الفكرة ..

« والآن نتكلم عن الأبحاث التى تمت هنا .. والتى بدأت منذ ثلاث سنوات .. »

* * *

« بعد أيام قام أخى بتدمير هذا الكائن ، وتذويبه
فى الحمض لأنه كان مسخاً وأخى لا يرغب فى صنع
المسوخ .. إنه يصبو إلى الكمال ..

« الكائن التالى كان أفضل نوعاً لكنه كان مصاباً
بنوع من العته ، وكان لا يكف عن الصراخ حتى أحال
حياتنا جحيماً وأوشك على أن يفضح سرنا ، لهذا
تخلص أخى منه ، وبدأ فى الكائن الثالث ، ولا يخفى
عن ذكالك أننا سميناها (برومثيوس - ٣) .. »

قلت دون أن أنظر إليها :

« (برومثيوس) هو الإنسان الأول فى الميثولوجيا
الإغريقية .. اسم مناسب جداً »

قالت الفتاة وقد ازداد سواد الهالات المحيطة بعينيها
كأنما عينيها فى بئر عميقة :

« .. وسارق النار ومن علمها للبشر .. هذا ما أثار
سخط سادة الأوليمب عليه .. أنت تفهم الآن ما أرمى
إليه .. »

قلت فى غل وأنا أتملئ لى وهشمت عنقها النحيل ،
ثم استخدم رأسها كمطرقة أهشم بها رأس أخيها :

« حسن .. أنت تعرفين أننى لا أصدق حرفاً من
هذا كله .. المنطق نفسه غير متوازن .. لماذا يسرق
أخوك الجثث ما دام عبقرياً إلى هذا الحد ؟ لماذا
لا يصنعها ؟ »

قال (فرانكنشتاين) فى ضيق ، وقد أفاق من
غيبوبته لسبب ما :

« لا تكن طفلاً .. لا أحد يستطيع صنع كائن حى !
« معذرة على شدة غيالى .. لكنى حسبت أنك
تتكلم عن شيء كهذا .. ولماذا لم تسرق جثة كاملة
وينتهى الأمر ؟ »

« أنا أختار أجمل جزء من كل إنسان .. الوجه
وجه ممثل سينما والذراع ذراع مصارع ، والقدم قدم
عداء ، والمعخ مخ مفكر .. »

« يا سلام ! واللسان لسان شاعر ، والمعدة
معدة دباغ والرئة رئة سباح .. هل تعرف لماذا لم

أتركك وأرحل يا (فرانكشتاين) ؟ لأن لدينا فى مصر
مثلاً شعبياً يقول : (خليك مع الكذاب لحد باب الدار ..)
أترك الكذاب يأخذ راحته إلى أقصى حد حتى تموت قصته
تلقائياً .. أم أنك تعيد الحياة للقصص الميتة ؟ »

قالت الفتاة وهى تترنح وإن كنت لا أفهم السبب :

- « لا تسخر يا دكتور (رفعت) .. فهذا نحن
أولاء نطالبك بأن تحضر معنا هذه التجربة مع
(برومثيروس - ٣) »

ثم ارتجفت مرتين وسقطت على الأرض ككومة
الثلج ..

لكنى - بصراحة - لم أجد لدى ميلا لمعاونتها .. تركتها
وتشاغلت بفحص أظفارى ، وكذا بدا أن (فرانكشتاين)
فى إحدى نوبات الخبال الذهولى التى يعانى منها
كثيراً ، فراح يدون شيئاً على أوراق أمامه ..

بعد دقيقة شعرت بخجل من موقفى ، فناديت الخادم ،
وطلبت منه أن يساعد الفتاة ويقدم لها بعض دوائها
الذى لا أعرف اسمه ..

وحملناها معنا إلى غرفة نوم صغيرة فى الطابق
الثانى .. كانت الفتاة ثقيلة جداً بالنسبة لإمكاناتى
الجسدية .. لابد أن وزنها لا يقل عن أربعين
كيلوجراماً .. وهكذا جلست جوار الفراش أسعل
وألهث ، وتناولت قرصاً من النيتروجلسرين .. وطلبت
من الخادم كوب ماء ..

لكن الخادم لم يأت بكوب ماء فقط ، بل جاء بحقيبة
طبية كاملة وضعها بجوارى ، وقال فى كياسة همماً ،
وبلهجة إنجليزية فظيعة :

- « معذرة يا سيدى .. أنا أعرف أنك طبيب ، وهذه
النوبات قد صارت تباغتها ثلاث مرات يومياً وهى
تأبى استشارة طبيب .. إن أخاها ذاهل تماماً
ولا يوليها اهتماماً .. أحياناً يسدو مذعوراً وأحياناً
لا يلاحظ ما يحدث أصلاً .. إنها الآن لا تستطيع
الاعتراض ، ولا أرى ما يشين أو يضر بالأمانة
لو طلبت منك أن تفحصها سريعاً .. لو كان هذا فقر
دم فأنت خبير بأمراض الدم .. ولو كان ورماً فى
المخ كما أتوقع فلعلك تخمن هذا .. »



هنا لاحظت حول عنقها ندبة دائرية غريبة .. ندبة كأنها
كانت ترتدي تلك الحلية التي بسمونها (كوليه) حول العنق ..

تأثرت باهتمامه الذي لم يظهره الأخ ، وسألته
بإنجليزية رديئة لا بد أن يفهما :

« هل أنت مع الأخوين منذ زمن أيها الرجل
الأمين ؟ »

« ثلاثة أشهر لا أكثر .. لكني أحب هذه الفتاة ،
وأشعر بأنها لا تستحق المعاملة الكريهة المخبولة التي
يعاملها أخوها بها .. هذا البيت يشبه بيوت الرعب
في السينما ، وأنا لم أبق به إلا لأنني لا أجد مكاناً
آخر .. إن الاختيارات تقل في سنى .. »

شكرته على اهتمامه ، وطلبت منه أن يوارب الباب ،
ثم قمت بقياس ضغط دم الفتاة .. حقاً كان منخفضاً
كالأشباح لو أن الأشباح لها ضغط دم .. كانت أسجة
شفطتها شاحية تماماً ، فلم يعد فقر الدم شيئاً يحتاج
إلى تحليل ..

هنا لاحظت حول عنقها ندبة دائرية غريبة .. ندبة
كأنها كانت ترتدي تلك الحلية التي بسمونها (كوليه)
حول العنق .. غريب هذا .. أو كأنها - ويا لها من
فكرة - شئقت ثم أزلوها من على الحبل ..

خطر لى خاطر غريب نوعاً فمددت يدى ، ورفعت
كم الثوب إلى أعلى ذراعها ، فوجدت الندبة ذاتها
هناك عند اتصال الذراع بالجدع .. دقت النظر أكثر
فوجدت ما يشبه آثار الخيط الجراحى حين يلتكم
الجرح فينتزع ..

ما معنى هذا ؟؟

هذه الفتاة مرت بجراحة غير مفهومة .. جراحة
تمت حيث يتصل الذراعان والعنق بالجدع .. فما هى
هذه الجراحة ؟؟

* * *

كان هناك موقف مماثل مع (براكسا) حسناء
المقيمة .. كانت نائمة وكنت أنا أرمق الجرح المربع الذى
مزق عنقها ، وبرغم هذا كانت حية .. حية تتنفس ..
وفتحت عينيها لترمقنى !...!

* * *

كان قلب (أجاتا) ينبض بمعدله العادى .. فقط
كان أكثر سرعة بسبب فقر الدم .. وكانت استجابة
عينيها للضوء طبيعية .. إنها الآن نائمة لا أكثر ..

٩٠

نهضت فى تؤدة ، ورحت أذرع الغرفة جينة وذهايا ..
لم يكن لدى سوى تفسير واحد لكنى لن أقوله ..
التفسير السهل مستحيل أن أتلفظ به ، والتفسير الصعب
هو - ببساطة - صعب ..

مشيت فى الغرفة جينة وذهايا .. كانت هناك بعض
صور معلقة على الحائط .. بعضها يظهر صوراً لا بد
أنها التقطت فى (برلين) .. هذا الطابع لا تخطئه
العين لأوروبا الشرقية .. كانت الصور تظهر
(فراكنتشتاين) الأخ والأخت يجلسان فى ميدان عام
على حاجز نافورة ماء .. ثم صورة أخرى جعلتنى
أرجف خيفة .. كانت صورة للفتاة ولكن مع شريط
حداه أسود على الركن العلوى للإطار !

هذه مزحة بالتأكيد أو أم الفتاة كانت تشبهها أكثر
من اللازم ..

سمعتها تنن ، وراح رأسها يهتز على عنقها محاولاً
التماسك ، فقلت لها فى سرى (كما يقول الإنجليز) :
استيقظى واشرقى !

كان الليل قد أوغل ، وشعرت بحق بأننى بحاجة
إلى النوم لأرتاح من عناء التفكير بضع ساعات ..
إن (فرانكنشتاين) وتجاربته لقادران على
الانتظار ..

* * *

www.liilas.com/vb3

RAYAHEEN^

هنا دخل الخادم الغرفة ، ونظر لى رافعاً حاجبيه
نظرة من نوع (هل - توصلت - لشيء - ما ؟) ..
فنظرت له نظرة من طراز (فلنتكلم - عن - هذا
- فيما - بعد) .. ودنوت من الفتاة ..

هنا أعرّف بشيء .. لقد كنت وثقاً تماماً من أنها
ليست كما ترعم .. لكن الرعب غير المعنطق تسئل
إلى روى .. الرعب الذى يجعلك تخشى لمس جلد
مصاب بالإكزيما يرغم أن الإكزيما مرض غير معد ،
وتخشى لمس ألقى تعرف جيداً أنها غير سامة .. هذا
الرعب جعلنى بحق أهابها وأحاول ألا ألمسها قدر
الإمكان .. كأن جلدنا المشاحب البارد هو الموت ذاته ..
وبعد برهة عدنا إلى القاعة فلم نجد (فرانكنشتاين) ..
قال الخادم وهو يرفع الأقداح الموضوعه على
المنضدة :

« قد غادر الدار دون كلمة أخرى ياسيدى .. »
« فكرة أخرى عجيبة زارته على حين غرة .. »
وجنست على الأريكة أتفحص صفحات مجلة ما ..

٨ - لا تحاول يا دكتور!

كنت أعرف أن الكوابيس ستزورنى ..

هذه من الليالى النادرة التى يحدث فيها شيء كهذا ..
أن تنتظر الكابوس ولا تتدهش لقومه ..

* * *

وكمعادة أضغاث الأحلام كان هناك ذلك الاجتماع
الصاخب بين (مارى شيللى) و (جيفارا) الثائر
الأرجنتينى العظيم و (عزت) جارى ، وكان الحديث
كله عن سبب ابتلاع أسماك القرش لساقى اليسرى ..
كان (عزت) مصرأ على أن ساقى سليمة بينما أصر
(جونسون) الرئيس الأمريكى على أن (كنيدي) لم
يمت .. كانت خالتي فى الشرفة تتشر الفسيل وفجأة
نهض المسخ الذى صنعه (فرانكشتاين) فأطلقت
صرخة عاتية ، وسقطت من الطابق الأول (لأن منزلها
كان من طابق واحد فى الترقازيق) فتكسرت أسناتها ..

الآن يقف (بيتر فرانكشتاين) ليقول فى حزم إنسى ..
إنسى ماذا ؟ لقد نسيت

لكن (لوسيفر) لم ينس .. لقد وعد باللقاء ..

* * *

كنت نائمًا فى الغرفة المظلمة .. وحدى ...
كنت أتكلم وأصيح وآتى بحركات عصبية ..
كنت جاهلاً بالخطر لو كان هناك خطر ..
كنت عاجزًا عن رؤية من بالغرفة معى لو كان
هناك أحد ..

كنت ضعيفًا واهنًا .. إنها ساعة الذنب التى يغدو
فيها المرء كرضيع معدوم التحيلة ..

* * *

وصحوت من النوم مهتم الأوصال كنتال ضبط
متلبسًا فى مود ، أو حمار جرّ يحركه صبى معنوه
مداى التزعاع ..

كان قرارى الأول هو أن نهضت وفتحت حقائبي ..
وبدأت أضع حاجياتي بها .. كنت دائماً أسوأ من
يستطيع تنسيق الأشياء فى حقائبه .. أما الآن فكان
الوضع أسوأ بعدما أفرغت الحقائب أمس .. تذكرت
على الفور التعبير - أو لعله المثل - الروسى الذى يقول :
لا سبيل لإعادة معجون الأسنان إلى الأنبوب بعد خروجه
منها ..

سمعت طرقات على الباب ، ودخلت الليدى (ماكب ...
أجائنا) ، وقد ازداد اصفرار شفطيهما والسواد تحت
عينيهما مما أكد لى أنها على ما يرام .. وكانت تبتسم
بعذوبة وقد جاءت لتسكرنى على (سهري بجوارها
فى أثناء اعتقالها أمس) ، ثم فوجئت بالمنظر العجيب
فى غرفتى ..
سألتنى فى دهشة :

- « ماذا حدث ؟ هل تسلل دب قطبى إلى الغرفة
أمس ؟ »

- « بل أنا أحاول حزم حقائبي ، ولم أكن قط بارعاً
فى هذا الفن .. »

- « أنت تعرف أننى أرحب بهذا ولكن لماذا ؟ هل
ضايقت شىء ؟ »

بتهدىبي المعتاد لم أصارحها بأن كل شىء هنا غريب
ومرجف ومثير للاشمئزاز .. هى نفسها لا تريحنى كثيراً
خاصة بعد ما رأيتة أمس ولم أجد له تفسيراً .. أشعر
فى وجودها بنفس ما كنت أشعر به فى بيتى بالقاهرة ،
حين يتسلل البرص الشاحب إياه إلى غرفة نومى فى
ليالى الصيف ..

قلت لها وأنا مستمر :

- « التجربة التى تدور هنا لا تناسبنى عقائدياً ، وأرى
فيها قدراً لا بأس به من التجديف والعبث .. الأمر كله
مقزز ولا يريحنى ، ثم إننى أعرف من اللحظة الأولى أن
هذه تجربة فاشلة ، لأن الموتى لا ينهضون إلا لحظة
الحساب ، وبأمر خالقهم لا بأمر طبيب فارٍ من الستار
الحديدى ، حتى لو كان يحمل اسم (فرانكشتاين) .. »
- « إن منطقك العلمى مفكك .. كيف تصدق
ما لم تر ؟ »

* * *

وهنا استعدت كلماتي مع (شوندر) حين جلسنا
نتناول العشاء :

- « سيدى .. كل ما تعلمته عبر هذه الأعوام هو :
لا توجد قواعد ثابتة .. التجريب هو المقياس الوحيد
لى .. قل لى إن (مارتا) تخرج النار من أذنيها فى
الليالى القمرية .. لا مشكلة عندى .. فلا توجد لدى
قناعات أو تحيزات مسبقة .. دعنا نر ما سيحدث لها
فى ليلة قمرية .. دعنا نقسه جيداً ونسجله ونفتش
عن تفسير علمى له .. »

* * *

ابتلعت ريقى .. لم لا أرى ؟ إننى سأفهم الطريقة
التي ينويان بها خداعى .. هذا مضمون على الأقل ..
لم لا أجرب ؟ عندها سأعود محملاً بالأدلة إلى وطنى ..
وسأحكى عن الهراء .. الهراء الذى رأيتة ..

قلت لها وأنا أسترخى قليلاً :

- « ليكن .. متى تتوقعين أن تتم التجربة ؟ »

- « خلال ثلاثة أيام .. »

- « وهل يسمح لى بأن أتخذ كل ضمان ممكن ؟ »

- « بالتأكيد .. لكنى أنصحك بالرحيل قبل هذا ..
لا تغد هنا أبداً .. أما إن بقيت فتذكر أن أخى سيطلب منك
تقريراً موقفاً منك ليضعه فى وجه من يعترض !! »

هنا تحشرج صوتى .. أنا أكتب هذا الكلام الذى هو
- إن لم نعتبره تجديدياً - هراء علمى صريح ؟! هذه
القضية نموذج ممتاز للأساطير التى تتعارض مع
الدين والعلم معاً .. وتكون هذه بالذات هى الأسطورة
التي أوقع باسمى عليها !!

كأنما سمعت الفكرارى ؛ قالت :

- « دعك من التعصب بلا طائل .. لو تأكدت من
التجربة بما لا يقبل مجالاً للشك ، فمن الكبرياء
السخيفة أن تستمر على نكراتك .. »

ثم أدارت ظهرها وقالت وهى تتصرف :

- « القرار قرارك ياد . (رفعت) .. لكنى ما زلت أحبذ
أن ترحل .. إن هذا المكان خطر ويزداد خطراً كل يوم .. »

* * *

وهكذا قررت أن أبقى .. لماذا قررت أن أبقى ؟
سؤال غريب حتمًا .. قررت أن أبقى لأضيف خبرة
جديدة إلى خبراتي .. قررت أن أبقى لأنني كنت واثقًا
من أن شيئًا لن يحدث .. قررت أن أبقى لأنني أنا !

وفي المساء قمت باحتياطات غريبة بعض الشيء ..

أولاً : وأمام عيني (فرانتكشتاين) الغاضبتين ؛
انتزعت قطعًا صغيرة جدًا من أسجة ذلك الكائن الذي
يرقد في معمله ، واستعملت محقنًا لأسحب بعض الدم
المتخثر من عروقه ، وقمت بوضع هذه الأشياء في
محلول من (الفورمالدهايد) ورقمت أنابيب الاختبار ،
ثم ألصقت عليها ورقة تحمل توقيعي .. أنا قادم من
مصر بلد الكتائب الجالس القرفصاء ، وبلد الأحرار
والشمع الأحمر والتوقيعات و(السركي) .. لن
يستطيع أحد أن يتفوق علي في هذا ..

ثانيًا : قمت بإحداث جرح معين في ساق الكائن ..
والتقطت له صورة بالكاميرا الخاصة بي .. قصدت من
هذا أن يكون علامة تجعلني أعرف الكائن في كل مكان ..

ثالثًا : وهذا مهم .. قمت بتصوير وتوصيف كل
جهاز في المكان ، وهكذا صار كل شيء معًا للبدء ،
وتم إعطاء الخادم العجوز إجازة في تلك الأمسية
المختارة ..

لكننا لن نرى شيئًا

- « آه ! إنه التراجع بهذه السرعة والسهولة
إبن !! »

- « بل هذه قوانين التجربة .. جريمة الليزر
ستكون عالية جدًا عند الذروة ، ولن تسمح لنا بالبقاء
أحياء على الإطلاق .. سنتوارى مبتعدين في أثناء
العملية ، ولن ندخل إلا حين تسمح لنا (أجانا)
بالدخول ؛ لكنك تملك فرصة الدراسة (قبل - بعد) .. »
- « كنت راغبًا في الدراسة (أثناء) .. »

- « هذا ليس متاحًا .. لكنك حرٌ ولا إكراه هناك ..
وعلى كل حال هناك كاميرا تصوير سينمائي ستسجل
ما يدور بالغرفة .. يمكنك دراسة الفيلم فيما بعد .. »

كدت أسأل عن نوعية الفيلم الذى لا يتأثر بالليزر
ثم أحجمت .. إن معلوماتى عن الليزر محدودة جداً
على كل حال ، وبدأت الحن عادلاً ..

وهكذا دخلنا إلى الغرفة الرهيبة .. الكسان ناسم
بلا رجعة على المنضدة .. وقد اكتشف جسده العضلى
فوق الخصر ، فبدأ قوياً كما يرسمون أبطال الإغريق
على جدرانهم .. طلبت من (أجاثا) أن تبدأ تشفيل
الكاميرا الخاصة بها ، فراح المحرك يهدر مسجلاً كل
شئ على فيلم الثماني مليمترات ..

ضغطت بضعة زرر فتصاعدت رائحة الكهرباء
الاستاتيكية ، ورائحة الشعر المحترق إياها .. شعرت
بالتغيبان فترجعت للوراء ..

قالت (أجاثا) وعيناها تتسعان رعباً كعادتها :

- « أرى أن الوقت قد حان لننصرف تركيز التجربة

تدور .. »

وغادرنا الغرفة لتتوارى وراء ستار سميك ، وكان
(فراتكنشتاين) قد تحول إلى ذئب مسعور لا يكف
عن اللهاث والخور والشهيق .. فمه مفتوح وبداه
ترتعثان ، واللعاب يتدفق من فمه ، وهو لا يكف عن
ترديد عبارات لا أفهمها بصوت غير مسعور .. تلاققت
عيناتنا للحظة فأدركت أنه لا يراى على الإطلاق ..

أثار هذا فزعى أكثر من التجربة ذاتها ..

ورأيت (أجاثا) تمد يدها المعروفة البلورية إلى
مجموعة من الأزرار ، فتعالجها ببراعة غير معقولة ..
تدير قرصاً يبدو أنه يتحكم فى كم الإشعاع .. تغلق
رافعة ما .. وجهها صارم يعكس ألف هول وهول ...

أهذا صوت أين ما أسمع من الغرفة ؟

في الغرفة الخالية يرقد الكائن الغريب يتلقى جرعات غير معقولة من الإشعاع .. التالى يتزايد .. لكن لا صواعق .. لا صرخات كما نرى فى السينما .. لا مساعد أحذب غريب الأطوار ولا ثورة غاضبة فى القرية .. لا مؤثرات خاصة لـ (ستريكفادين) .. إن خبرتى الخاصة عن تجربة (فرانكنشتاين) هى الهدوء التام المتوتر .. ولا شيء سواه ...

* * *

صوت اللهاث .. صوت الأنفاس الثقيلة (هفف هفف) من منخر (فرانكنشتاين) وأنا أمقت ثقيلى الأنفاس .. هذا يعطى طابعاً حيوانياً منفراً .. لا بد أن عشر دقائق مرت علينا ، حين استرخى جسد الفتاة وسأل العرق غزيراً على جبينها والتصق بخصلات شعرها ، وهمست :

« لا بد أن هذا كاف .. لن تزيد الجرعة لنتحاشى الاحتراق كما فى المرة السابقة ... »

ثم نظرت لى .. وارتجفت ونهضت .. وخلفها ركض (بيتر فرانكنشتاين) كالقرد ليذبح الستار قبلها .. وتبعتهما بساقين من المكرونة المسلوقة ..

* * *

الدخان فى كل صوب ، ورائحة الشياطين مع اللحم المحترق ، ثم يتلاشى الدخان مع السعال رويداً ، وأستطيع أن أرى بوضوح تام .. أرى الفراش .. وأرى حدود الكائن النائم ..

يركض (فرانكنشتاين) فى جنون .. يتعثر .. ينهض .. يهرع إلى مكان الكائن ويتفحصه وهو لا يكف عن السعال ..

نقد فشلت التجربة ..

فشنت

عرفت هذا جيداً ..



دوت صرخة الكائن المربعة العاتية ، وطار ذراعه فى الهواء
ليطيرنى بدورى متراً فى الهواء ..

- « لا أظن .. إنه أقرب إلى طفل ولید لم يتعلم الإیذاء
بعد .. سيصرخ ويعول لكنه لن يمستك بسوء .. »

وفى رفق جلس عند ساقى الكائن ، وتشبث بذراعيه
ثم أشار لى بما معناه أن أبدأ ...

وعلى الفور أخذت عينة بسيطة جداً بطرف المبضع
من جلد الكائن .. جلده الأبيض المعزز كجلد بطن
الضفدع .. كان هذا عملاً أحمق لأن

وو !!

دوت صرخة الكائن المربعة العاتية ، وطار ذراعه
فى الهواء ليطيرنى بدورى متراً فى الهواء ، ثم يركل
(فراتكنشتاين) فى نخته ، وراح يعوى بطريقة تمزق
نياط القلوب ، كأنه حيوان جريح ...

- « اهدأ يا أحمق .. اهدأ ! »

ومضت ثلاث دقائق قبل أن يستعيد تماسكه وهدوءه ،
وفى هذه المرة قررت أن ما لى على طرف المبضع
كاف .. هناك قطعة جلد وقطرات دم .. هذا كاف جداً ..

ودون كلمة أخرى وضعت كل شيء في حقيبة يد ،
واتجهت مغادراً المنزل ، وصاح (فرانتكشتاين) منادياً
وأنا على السلم الخلفى للدار :

- « إلى أين الآن ؟ »

- « إلى (لوسيرن) .. حالا .. يجب تحميض هذا
الفيلم وإجراء فحص معين بصدد هذه العينات .. »

كان أول ما قمت به هو حجز غرفة في فندق - لم
يكن هذا موسمًا سياحيًا لحسن حظي - ثم إرسال العينات
مع العنوان في طرد خاص إلى الدكتور (شوندر) في
(جنيف) ، وشرحت له مفتاح العينات وما أريده منه ..
ثم توجهت لتحميض الفيلم في أحد المعامل .. لو
كانت كاميرات (الفيديو) المحمولة معروفة في ذلك
الزمن لما كانت بي حاجة إلى كل هذه التعقيدات ..

وأخيراً سمحوا لى بمشاهدة الطبعة الإيجابية من
الفيلم في المعمل ، وكان تعليق الموظف هو :

- « ظريف جداً .. ظريف ! تقوم بتصوير أفلام
(فرانتكشتاين) المرعبة ، ولكن بأساليب الهواة ! »

وجلسنا نشاهد الفيلم .. كنت أفتش عن خطأ ما لكنى
لم أجد .. الصورة ممتازة شديدة الوضوح ، وإضاءتها
موزعة بدقة .. الجسد النائم الذى تغطت قدماه
بالملاءة .. والصمت .. ثم تألق الصورة يتزايد ويتزايد ،
وأخيراً يتحرك الكائن ويرفع ذراعه ويئن .. ثم يملأ
الدخان المكان وأرى أشياء تدخل الكادر .. هؤلاء
نحن طبعاً .. ثم تظهر الأرقام المميزة لانهاء
(الشارج) كما يقول السينمائيون ، وتظهر شاشة
بيضاء ..

أخذت الفيلم شاكرًا شاعرًا بما يشعر به من داس
على كابل من كابلات الفولت العالى ..

لا تلاعب في الأمر .. هذا الفيلم حقيقى يظهر بدقة
كل ما حدث منذ غادرنا الغرفة حتى عدنا لها ..

ما التفسير ؟

ما التفسير ؟

كلا .. لن أقولها أبداً يرغم أن الإغراء شديد : تجربة (فرانتكشتاين) نجحت ببساطة ، وأخته هي أول نموذج نجح في تجاربه ، لأن حبه الشديد لها جعله لا يطبه . فكرة موتها .. لقد نبش قبرها وأعاد تركيب أجزائها .. ثم ... لهذا هي مريضة هشة قابلة للتفكك ..

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم !!

لقد صارت الفكرة أكثر مرونة وقابلية للابتلاع بالنسبة لي .. لقد وجد الشيطان ثغرة ضيقة يتسلل بها إلى روعي ، وهاهو ذا عاكف على توسيعها يرأسه ذئ قرني التيس .. إنه - عليه اللعنة - مثابر لا يكل ولا يعمل .. لقد كنت أرفض الفكرة رفضاً تاماً لكن ببطء وجدتي أنكلم عنها .. بعد قليل ربما أقبلها ...

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم !!

هذا هو ما عرفته في دار هذين الأحمقين .. الفتنة ولا شيء سواها .. أنا المعطى حين سمحت لتجربة كهذه بأن تتم أمامي .. هناك أشياء لا يصح العبث بها أو اللعب حول حدودها ..

والآن ماذا أنتظر ؟ ماذا يعنى من الرحيل ؟

لكني كنت أعرف الجواب ..

كنت بحاجة إلى البقاء كي أفند هذا الهراء .. كي يرهن أنهما مخطئان .. هكذا سيستقر المنطق ، من دون ثغرات ولا ألعاب حواة ..

* * *

وقضيت في (لوسيرن) يومين لأنني كنت بحاجة إلى نسيان البيت المشلوم لآل (فرانتكشتاين) .. وفي اليوم الثالث جاءتني برفقية من الدكتور (شوندر) على الفندق الذي أرسلت له عنوانه :

« عزيزي بروفيسور (إسماعيل) :

« سرني أن تلقيت منك هذه العينات التي تقول إنها من صميم تجارب البروفيسور (فرانتكشتاين) ، ولقد قمت بتحليل الأنسجة والدم بمعرفة أحد المختصين في الطب العدلي ، وباستخدام أسلوب الترميب

المناعى (*) ، فوجدنا أن الأنسجة متطابقة تمامًا في
عينتى (قبل) و (بعد) ..

« بعبارة أخرى أنت تتعامل مع الكائن ذاته فى
المرتين .. كن واثقًا من هذا وتصرف على أساسه .
« بإخلاص : ف . شوندر »

فرغت من قراءة الخطاب ودار رأسى ...

* * *

كان ما ذكره الخطاب بالغ الأهمية ، لأنه يقول
إن الكائن هو الكائن قبل وبعد التجربة .. أى أنهما
- آل (فرانكنشتاين) - لم يستبدلا بالكائن الميت آخر
حيًا يشبهه .. كان هذا ولفداً مع مغادرتنا الغرفة وكل
هذا الدخان ، لكن جاءت برقية (شوندر) لتتفسى هذا
نقياً قاسياً ...

(*) يا لهذه الأساليب العتيقة قبل عهد البصمات الجينية
وما إلى ذلك ! إن الترسيب المناعى الآن هو قطعة من التاريخ
كالتليفزيون الأبيض والأسود والمذياع ذى المصابيح ..

يا إلهى الرحيم ! والحل ؟

الحل أن أعود إلى المنزل الريفى ، وأفتش عن
شئ .. دليل على الطريقة التى خدعنى بها ..

* * *

www.liilas.com/vb3

RAYAHEEN^

١٠ - شيء غريب يدور عندكم ..

كانت هذه الظهيرة حين نزلت من سيارة الأجرة .
ومشيت الميل الأخير الذى يفصلنى عن دار
(فرانكشتاين) .. كنت بحاجة للتفكير على مهل ..

الآن أرى بحيرة (لوسيون) بارة الحسن ، فأتذكر
أن هناك جمالاً فى هذا الكون .. أفق أمامها وأعظم
سبحان الله .. لقد نسيت بحق كل هذا الجمال وسط الجو
الكئيب المقعم بالتجث المتحللة ، والأطراف الموصولة ..

ثمة صياد فى قارب .. لا بد أنه أحقق كسب يحاول
الصيد فى هذا الطقس .. ومن بعيد أرى البيت الرهيب
بما فيه من أسرار .. صحيح أنه ليس قلعة تحيط بها
الصواعق ، لكنه قد اكتسب هيئة خاصة به برغم
طرته الحديث ..

ومررت بجوار الصياد فسمعتة ينادينى باتجليزية
جيدة :

- «دكتور (إسماعيل) ! هل لى بديقة من وقتك ؟»

نظرت له فى دهشة .. وأدركت على الفور أنه
ليس صياداً .. إن له ذلك الوجه المربع مشقوق الذقن
لامع العينين .. وجه محترف .. محترف لماذا ؟
لا أدرى بالضبط .. هذا الوجه لا يكون صاحبه إلا قاتلاً
أجيراً أو رجل شرطة سرية .. دنوت منه أكثر ورسمت
بحاجبى علامة استفهام ، فضحك وقال وهو يخرج
من جيبه شيئاً يشبه البادج محفوظاً فى بطاقته
(وهو مشهد ألقته من الأقلام الأمريكية) :

- « شرطة .. أبا المفتش (كارل بايبر) .. أعرف
أنتى أضيائك ؛ لكنى أعرف كذلك أنك رجل شريف
لا يجب أن يتورط فيما يخالف القاتون »

نظرت حولى ، ثم دنوت منه أكثر وتساءلت :

- « كل هذا جميل أيتها المفتش ، لكنى أكون شاكراً
لو أوضحت الأمر بدلاً من المقدمات الطويلة .. »

- « آل (فرانكشتاين) »

قالها وأسمع لفافة تبغ بصعوبة لأن الريح كانت
تهب من هنا .. نعم هو من الرجال الذين يتكلمون
واللفافة في فهم مع التقطيب لبيدوا محترفين ..
وبالطبع لم أستطع أن أقول له (اسمعنى ؟) .. ثم
أردف :

- « أنت تقيم عندهم من فترة ، وأعتقد أن لديك
فكرة لا بأس بها عن التجارب المريعة التي يقومون
بها ..

« ليس التدخل في هذه الأمور من شأننا .. لكن
الأمور بدأت تتخذ منحى غريباً منذ كثرت حوادث سرقة
المقابر .. نعم .. هناك مقابر كثيرة وجدت مفتوحة وقد
سُرقت من الجثث أطراف تم نشرها .. هذا يشير إلى
الطب عامة .. كل طلبة الطب يسرقون الجثث في كل
مكان من عهد (فيزاليوس) حتى اليوم .. »

- « دعنى أؤكد لك أنني لم أسرق جثة طيلة فترة
دراستى .. لا بد أن هذا احتاج إلى قوة إرادة عالية
منى .. »

ابتسم تلك الابتسامة السعجة .. ابتسامة محترف ..
وقال :

- « ليكن .. لكننا لسنا واثقين إلى هذا الحد من
أل (فرانكشتاين) .. إن الأخبار تنتقل بسرعة ، وقد
شوهد عدد من المشبوهين يسلمون أشياء في أكياس
للطبيب حين يسدل الليل أستاره ..

« للأسف لم نستطع الإمساك بأحد متلبساً ، بالإضافة
إلى أن أدلتنا واهية لا تسمح باستصدار أمر تفتيش ..
لكن الأمر بدأ يزداد سوءاً منذ فترة مع قتل عابري
السيبيل والمتسولين أو ناقصي الأهلية .. »

هنا تصلبت ، وبذلت مجهوداً عظيماً على لا أسقط
في الماء .. هذا غريب بحق .. قال الرجل وهو
مستمع بدهشتى :

- « لا تندهش .. لقد مات ثلاثة أو أربعة .. ومجموع
الأجزاء المسروقة من الجثث تسمح بتكوين جثة
جديدة تماماً .. هل تفهمنى ؟ يبدو أن التجارب صارت
تحتاج إلى أجزاء طازجة من الجثث .. لم تعد الجثث
القديمة تصلح .. »

- « ولم لم تفتحوا البيت وتفتشوه ؟ »

- « لأننا في سويسرا هنا ، ولا يمكن عمل شيء كهذا ما لم يكن معك أمر من المحكمة .. طبعاً اتجه أحدنا في تهذيب ليلقى البروفسور وطلب تفتيش البيت ، لكن هذا طرده دون كلمة واحدة .. المحكمة لا ترى في الإشاعات التي تملأ الضاحية ما يبرر انتهاك حرمة دار الطبيب المخبول .. وهكذا أنا في ملزق .. لا بد من إثبات .. والإثبات يحتاج إلى تفتيش البيت .. وتفتيش البيت يحتاج إلى إثبات .. هذه هي الدائرة الكريتانية الشهيرة في علم الكلام ، ولا خلاص منها إلا بأن تساعدنا ... »

وضاقت عيناه كعيني ذئب ، وقال :

- « ما الذي رأيته خلف جدران هذا البيت ياد. (رفعت) ؟ »

* * *

هنا قررت أن أصمت .. لا أريد أن أتورط مع البوليس السويسري أو أوروب (فرانكشتاين) قبل أن أتأكد مما يحدث حقاً ، وهكذا تظاهرت بالغباء وهزرت رأسي :

- « لا يوجد شيء ذو بال .. فقط تجارب بالليزر على الخلايا .. »

ظل يرمقني في ثبات وقتاً طويلاً بنظرة مربكة من طراز (لقد - بدأت - الكذب - إن) .. ثم مضغ نفاثة التبغ ، وقال :

- « ألا يوجد مسخ تم تشكيله من أجزاء مبتورة ؟ تذكر جيداً .. لعنك نسييت .. »

- « إن ذاكرتي ضعيفة على كل حال لكن ليس إلى هذا الحد .. »

- « شكراً يا د. (إسماعيل) .. لقد كنت جم العقالدة حقاً .. »

وعاد يجلس في قاربه وأمسك بالمجداف وقال :

- « لو كنت تتكتم شيئاً ما فلسوف تجد أن القانون صارم هاهنا .. ولا يقبل إخفاء الشهادة .. »

ثم راح يبتعد بالقارب ، وضربات المجداف تضرب أفكاري في الوقت ذاته .. ومتأقلاً توجهت إلى بيت (فرانكشتاين) ..

* * *

(أجاتا) فى الفرائض مريضة كعادتها ، أما (بيتر)
فرائكنشتاين) نفسه فلم يذكر من أنا ، وراح يتساعل
بالألمانية عن المرة التى تلقينا فيها ، كما راح يلومنى
بقسوة على أن زجاجات اللبن تتهشم حيث أتركها أمام
الباب صباحاً ، حتى ذكره (أنوف) بشخصيتى ..

كان (بيتر) ثائراً حقاً .. لماذا ؟ لأن الكائن الذى
صنعه أو (برومثيوس) قد فر ..

كيف حدث هذا ؟ حدث أمس عند الغروب .. لقد
اصطحبه إلى الشاطئ ليرى البحيرة .. كان هذا فى
سياق تعليم الكائن تفاصيل العالم الخارجى .. لا بد من
تلقينه الكلمات الأولية وعادات البشر ..

يقول (فرائكنشتاين) إن الشرود اعتراه - كالعادة -
فراح يرمى البحيرة ذاهلاً ، وحين أفاق لم يجد المخلوق
جواره .. لقد اختفى .. ثلاثى تماماً .. وقد جن جنونه
وراح يفتش فى كل صوب .. خرجت (أجاتا) معه إلى
البحيرة وبحثاً كثيراً جداً لكن لا جدوى .. لقد ذاب وعلينا
البدء من جديد ..

قلت له فى تهكم وأنا أدخل حقيبتى إلى المنزل :

- « لا بأس .. أعتقد أنك ضرت خبيراً فى فن صنع
المسوخ .. إن النموذج (برومثيوس - ٤) سيكون
متمقناً بحق .. »

قال لى فى شيء من الضيق ، وعيناه اللامعتان
تزدادان اتساعاً :

- « ربما .. لكن هل تأكدت من (برومثيوس - ٣) ؟ »

- « كل شيء يؤكد نجاحك ولا يعنى سوى الله كيف
فعلت هذا .. »

- « تعنى : كيف صنعت الكائن ؟ »

- « بل كيف أقتعتى به .. »

ومن دون كلمة أخرى سبقته إلى الداخل ، وأنا أستعيد
تلك الرائحة العفنة الغريبة المميزة لداره .. رائحة كل
الأنسجة العضوية التى راح يجرى تجاربه عليها منذ
زمن .. الآن أفهم لماذا لم يكن البخور ينقطع فى دار
(ريا و سكينه) سفاحتى النساء الشهيرتين ..

هل لهما حقاً علاقة بجرائم القتل هذه ؟ كل شيء
ممكن لكنهما ليسا القاتل على كل حال .. القاتل في مكان ما
بالخارج يبحث عن أجزاء مناسبة لـ (برومثيوس -) ..
وفي هذه المرة صعدت إلى غرفة الفتاة دون استئذان .
فقط قرعت الباب ودخلت ، وكانت هناك في فراشها ،
وقد ازدادت شحوباً ونحولاً ..

سمعت صوت طرفاتي ففتحت عينيها ، وسعلت مرتين
ثم قالت :

- « دكتور (رفعت) .. قد عدت من (لوسيرن)
سريعاً ، وكنت أحسبك لن تعود أبداً .. كيف حالك ؟ »

- « بخير للأسف .. » - وقربت مقعداً منها ورحت
أفيس نبضها - « أريد أن تذهبي معي إلى (جنيف)
حيث يجري لك فحص طبي شامل .. إن مرضاً عضالاً
يغرب جسدي الآن بالتأكيد .. الرقة لا تعني أن تموتى
ثلاث مرات كل أسبوع ! »

ضحكت حتى راح صدرها (بشخص) بلا انقطاع ،
وقالت :

- « مستحيل يا دكتور (رفعت) ! الحقيقة هي أنك
لا تعرف إلا ربع الحقيقة !! »

وفهمت على الفور ما تريد قوله .. لكنى لم أقتنع
به .. وحانت منى التفاتة إلى صورتها المعلقة ذات
الشريط الأسود ، وسألتها في حذر :
- « هذه ليست صورة الوالدة طبعاً .. »

ابتسمت في خبث برغم سقمها وهزت رأسها أن لا ..
ثم هممت :

- « هذه صورتي !! إن سرطان الدم مرض خطير
كما تعلم .. »

وبنظرة حازمة قالت وهي تعتلد في رقتها بعض
الشيء :

- « هذه المحادثة لن تخرج من هذه الغرفة ،
ولو خرجت فليسوف أزعجك مخبول وأنكر كل حرف
أقوله الآن .. أنا لن أتحوّل إلى فأر تجارب بشرى أبداً ..
فهمت ؟ ! »

* * *

١١- هكذا أمرت ..

ينتظر في الظلام قرب البحيرة ..

يعرف أن عليه الانتظار .. ليس لديه عمل آخر
ولا سبب ثان للوجود ، وهو لا يملك أن يتساءل ..
وليس لديه إرادة خاصة به ..

ثمة كلب يعوى في مكان ما .. يمر به .. إنه
يخاف الكلاب ، لهذا يكتر عن أنيابه ويعوى بدوره
كما يتراجع المخلوق المشعر ذو الأنياب ..

لقد دنا موعد الطعام .. العشاء الساخن لدى
الأسرة ، لكن الأوامر التي صدرت له هي : لا تعد
للعشاء إلا بعد أن تنتهي من مهمتك ..

لقد شرحوا له المهمة ببساطة .. جعلوه ينظر من
النافذة ويرى ذلك القارب في البحيرة ، يركبه صياد
ضخم الجثة لا يكف عن إطلاق الدخان من أنفه ،
ولا يكف عن اختلاس النظرات إلى الدار ..

« هل ترى هذا ؟ هذا سين .. مين .. »

ثم كالعادة تناولوه الخنجر الكبير والمنشار ، وأشاروا
إلى العنق ..

فتحوا له الباب الخلفي ، وعلقوا الحقيبة الجلدية
الجمينة على كتفه .. الحقيبة التي عليها صورة نمر ،
ثم أغلقوا الباب ..

وهكذا وجد نفسه يمشي في الظلام فوق الدرجات
الحجرية الهابطة حتى البحيرة والقارب ذي المجدافين
المربوط إلى المرسى ..

الكلب يواصل النباح .. يلاحق ساقيه .. تبأ .. إنه
سيفلت الأنظار له .. لم يكن هناك مجال للتردد .. التحنى
وأطبق أنامته الغليظة على عنق الكلب وراح يضغط ..
يضغط ..

وانتهى من مهمته ، فنزل إلى القارب .. كان يتأرجح
ذات اليمين واليسار .. لأعلى وأسفل .. لكنه كان يعرف
كيف يتحكم فيه .. تنتظر بعض الوقت كما أمره ..
ثم أمسك بالمجدافين ، وراح يتوغل في البحيرة في
الظلام ..

الرجل السيئ ينتظر في قاربه هناك عند الضفة الأخرى ، وفي يده منظار يسلطه على المنزل دون انقطاع ..

حتى في الظلام لا يكف عن النظر ... هذا حق .. وت منه بالقارب فنظر له الصياد مندهشاً .. به لم يعد رؤية صيادين داتين منه إلى هذا الحد وفي هذا الوقت ..

كان في فمه لغافة يطلق منها الدخان .. هذا سيئ .. سيئ ..

قال له الصياد شيئاً لم يتبينه ، ثم قال بلهجة أمرة :

« غريب أن تختار هذا الموضع بالذات دون سواء في البحيرة كلها .. أرجو أن ترحل .. »

ولما لم ينصرف ، أخرج الصياد كشافاً من مكان ما في القارب وأضاءه ليرى وجه هذا القادم الجديد ..

لا بد أن ما رآه لم يرق له كثيراً ، لأنه مد يده في جيب سترته ، يريد إخراج شيء ما وهو بصيح في رعب :

هنا يشب من القارب فوق الصياد في قاربه .. ويتمايل القارب الأخير ، لكنه يكون قد أولج خنجره حتى المقيض في عنق الصياد .. يطلق صوت حشرجة طويلة ، ثم ينقلب القارب في الماء ويفوص كلاهما ..

كلا .. لم تنته المهمة بعد ..

يخرج من الماء إلى المرفأ .. بجر جثة الصياد معه ، وهو يعرف أن مهمته الآن هي انتزاع هذا الرأس ووضعها في الحقيبة لأنهم يريدونه .. بعد هذا عليه أن يبعد الجثة عن البحيرة قدر الإمكان .. ربما إلى الغابة القريبة ..

الآن يمكنه التظفر بالعشاء الساخن والنوم في الدفء حتى الغد ..

غداً سيقوم بعمل مماثل بالتأكيد ..

وفي الدار كنت جالساً بقاعة الجلوس أقرأ بعض الأوراق العلمية التي نشرها (فراكنشتاين) من قبل ، وكلها تعتمد على خواص التحلل في الخلايا ومحاولة السيطرة عليها ..

كان هناك كتاب صغير مبسط عن الليزر قرأته
بغاية ، فبدأ لي الأمر غريباً بعض الشيء ..

ليس الليزر شعاعاً سحرياً يفعل المعجزات .. إنه
- ببساطة - حزمة من الضوء المركز عديم التشوش ،
ويمكن التحكم في اتجاهه بدقة .. يمكن استخدامه
كمبضع جراحى أو آلة كس أو لوقف النزف .. كل
هذا جميل وله أهميته .. لكن ما أريد قوله هنا هو
أن الليزر ليس شيئاً سحرياً ، ولا يمكنه بحال إعادة
الخلايا الميتة إلى الحياة ..

المشكلة هي أننا نعرف عنه أقل القليل لذا نصدق
كل ما يقال عنه ..

وتذكرت ما صاحب اكتشاف الهرمونات ، حين كان
الناس يحسبونها قادرة على عمل كل شيء وشفاء كل
مرض ..

الآن يحاول (فراكتنشتاين) استغلال الليزر للنصب ..
والجاهل - من أمثالي - يصدق كل شيء ..

* * *



يخرج من الماء إلى المرفأ .. يجر جثة الصياد معه ..

وعند الغاية - وهو منهمك في جر الجثة منزوعة
الرأس - سمع من يصيح به :

- « أنت !! قف عندك ! »

لكنه لم يبسال بهذا التحذير وواصل جر الجسد ،
ولم يبسال كذلك بضوء الكشاف الذي غمر المكان
وكاد يعمى عينيه ، لكنه واصل المشى ولم يتخل
عن الشيء الذي يجره .. فقط زاد من سرعته
أكثر ..

- « أنت !! قف عندك ! »

وكان هذا كافياً كي يرفع المزارع بندقيته ، ويطلق
الرصاص على ذلك الشيء المرعب الذي يجرجثة
لأرأس لها .. وفيما بعد قال لامراته إنه شعر بأن هذا
هو الشيطان ذاته ، وهو ليس نادماً على الإطلاق على
ما فعله ..

يوم !

* * *

يوم !

سمعت الطلقة حيث أنا في القاعة ، لكنني لم أهتم
كثيراً بذلك باعتبار تفجير الإنسان لرأسه أو رأس
زوجته حقاً طبيعياً من حقوقه .. لكنني سمعت المزيد
من الضوضاء ، وعرفت أن حدثاً جثلاً يحدث هناك ..
تهددت وواصلت تفحص الصور الفوتوغرافية التي
لدى ..

بعد دقائق نزلت (أجاتا) مترنحة من غرفتها ،
وكان شعرها المنكوش ووجهها الشاحب ونظرة
الرعب في عينها ، كلها أشياء جديدة بزومبي يغادر
قبره في (هاييتي) .. لا بأس .. لقد اعتدت هذا ..
قالت لي في فزع :

- « ماذا حدث ؟ لماذا يطلقون الرصاص ؟ »

قلت دون أن أرفع عيني إليها :

- « أحدهم يقتل أحدهم .. هذه الأشياء تحدث ! »

ابتلعت ريقها ونظرت إلى الخارج حيث الظلام
متوجسة ..

ساد الصمت برهة ثم قلت لها في هدوء :

- « متى قمت بتبديل العينات في غرفتي ؟ »

نظرت لي كالمسوعة ، واتسعت عيناها كما يفعل مصاصو دماء (هامر) في السينما حين يرون الصليب ، وهتفت :

- « ما هذه الهلوس ؟ »

- « أنت قمت بتبديل العينات التي أخذتها من هذا

الكائن .. أعرف هذا ولدي دليل عليه .. »

- « أنت تخرف ! لقد انتهيت من تجاربك فحملت

العينات وغادرت الدار مسرعاً إلى (لوسيرن) .. لم يكن هناك وقت كاف لتبديل أية عينات لو كان هذا ما تعنيه .. »

قلت دون أن أنظر إليها لأبدو قوياً كما يفعلون في

السينما :

- « أنا لا أتحدث عن تلاعب في عينات (بعد) بل

في عينات (قبل) .. لقد تسللت لغرفتي وقمت بأخذ

عينات الكائن الميت ، ووضعت مكاتها عينات الكائن

الحى .. لا بد أنك بارعة في التزوير حقاً حتى لفقت

توقيعي على أساليب الاختبار وكل شيء .. وكنت

تعرفين أنني سأقوم بمقارنة هذه العينات لأتأكد من أن

الكائن هو نفسه من رأيتُه ميتاً .. هذا سهل .. الآن

يمكنني القول إن لديكما إنساناً مسكيناً لا أدرى من هو ..

ربما هو متخلف عقلياً كذلك .. هذا الإنسان جعلت منه

نموذجاً للمخلوق الذي سينهض ، وصنعت جثة تشببه

تماماً باستخدام المكياج وبراعة (فرانكنشتاين) السابقة

في جراحة التجميل .. مع بعض لمسات على النموذج

الحى نفسه ليعطى الإيحاء بأنه مر بجراحة غريبة .

» وأظن هذه هي الجراحة ذاتها التي مررت أنت

بها لتعطينا الإيحاء بأنك جثة ! »

صاحت في جنون حقيقي :

- « أنت تهرف بما لا تعلم .. أنت لا تملك دليلاً

من أي نوع ! »

قلت لها بنفس البرود :

- « يبقى لدينا موضوع الفيلم ، وهو أسهل الأجزاء ؛
لأن الفيلم تم تصويره بالكامل قبل هذا ، ولم تكن
الكاميرا تعمل حين حسبتها أنا كذلك .. الأمر سهل .. لأنك
توقعت بالضبط ما سيحدث : الضوء الساطع .. الدخان ..
دخولنا إلى الكادر .. وقمت بعمل هذا كله .. لكنك
نسيت شيئين : نسيت وضع الملاءة الذي اختلف بين
الفيلم والحقيقة ، ونسيت أن الإضاءة كانت خافتة جداً
في الغرفة ، فمن أين جاءت تلك الإضاءة الساطعة
المبهرة التي نراها في الفيلم ؟ من حمض لى الفيلم
وطبعه قال إن هذه إضاءة ستوديو سينمائي .. إضاءة
محترفين .. فمن أين جاءت ؟ »

كانت عينها متسعيتين تماماً .. لم يبق مزيد من
الانساع لها إن شاءت أن تظلا في محجريهما .. وقالت :
- « أنت خمنت كل شيء .. ولكن قل لى بحق كيف
عرفت أنني تسلت لحجرتك ؟ تقول إن هناك دليلاً .. »
- « لا دليل .. كنت أكذب ! »

كانت طقعة اختبار لكنها أدت عملها جيداً ، وفي
اللحظة التالية سمعنا صوت طرقات على الباب ..
طرقات بوليسية حازمة .. ثم تبد الفتاة حراكاً فنهضت
أنا لأفتح الباب .. كان هناك ستة رجال مكفهرى
الوجوه ، ولا شك فى أنهم رجال شرطة ..
قال أحدهم فى حزم بالألمانية :

- « معذرة يا سيدى .. إن معنا أمراً بتفتيش هذا
البيت .. »

وهنا دوت الطلقة

ونظرت للوراء فوجدتها ما زالت جالسة .. المسدس
فى يدها .. وذلك الثقب القبيح الدامى فى صدغها ..

* * *

١٢ - الخاتمة ..

هنا فقط عرفت أن (بيتر فرانكنشتاين) كان بريئاً ..
مجرد مخلوق مخبول تعس يعيش فى عالم وهمى ،
وبالتأكيد ما كان ليظل حياً يوماً آخر لولا شقيقته ..

حين سمع الطنقة ورأى جثتها ، راح يعوى
كالكلاب ويلطم خديه ، ثم تكور على الأرض وراح
يمص إبهامه كالرضع ، وينن أنيناً متواصلًا يمزق
نياط القلب ..

وبدأت خيوط القصة تتضح أكثر فأكثر ...

كانت هناك عدة عوامل تحرك شخصية (أجاثا
فرانكنشتاين) المعقدة الشرسة بطبيعتها .. كانت
تعشق الموت منذ طفولتها ، وهو ما يسمونه أحياناً
بالـ (نهلزم) - العدمية - وأحياناً هو (النكروفيليا) ..
كانت تحب المقابر وتتسلى بلعب دور الجثث فى كل
صورة ممكنة ..

حين كبرت ، شعرت بأن دماء جدودها التى تجرى
فى عروقها تطالب بالتغيير .. تطالب بالسيادة .. وفى
الوقت ذاته كانت مولعة بقراءة (مارى شيللى) حتى
إنها كانت تعتقد أن روح الأديبة حلت فيها هى
(الواقع أنها تشبهها بحق) ..

هكذا بدأت تنفيذ المؤامرة الكبرى التى ستجعل
أخاها شهيراً .. خاصة لو تم هذا أمام شاهد مثلى ..
وفى اللحظة المناسبة كان الكائن سيختفى وربما يحترق
المعمل كله بما فيه من أجهزة .. هكذا سيغدو إثبات
كلامها مستحيلًا ، لكن الشوشرة والدوى المحيطين
باسم (فرانكنشتاين) سيعيشان لفترة طويلة جداً ..

هناك عامل مهم آخر هو استمتاعها الخاص بجو
الموت والجثث ولعب دور الميتة الحية .. إلى حد أنها
سمحت لأخيها بإحداث آثار تشويه فى جسدها ليوحى
بأنها خرجت من جراحة معقدة ..

أما الكائن البانس فهو بالفعل كذلك : كائن بانس ..
متخلف عقلياً قامت بتربيته فى القبو بعد عمل المكياج

السلام له ، وبعد انتهاء التجربة صار دوره هو
الحصول على المزيد من الأطراف البشرية ، وفي النهاية
قتل المفتش لاستغلال رأسه في مشروع جديد ..
لقد كانت مأساة حقيقية ..

وأقسى ما فيها هو أن الفتاة لعبت دورها ببراعة
لا تصدق ..

لكنها لم تحتل فكرة الكشافها ..

انتهت أسطورة (فرانكنشتاين) لتبدأ قصة رهيبة
أخرى ..

قصة تتحدث عن كلمات سبع .. لكنها ليست كلمات
عادية .. كلمات لها القدرة على ..
لكن هذه قصة أخرى .

د. رفعت إسماعيل RAYAHEEN^

القاهرة